الفصل الرابع

إسماعيل راجي الفاروقي ومنهجه في نقد الأديان (اليهودية أنموذجاً)

ليندة بوعافية[1]

مقدمة:

إن علم مقارنة الأديان أو كما عُرف قديماً بعلم الملل والنحل، أو علم المقالات من أجلّ العلوم الإسلامية. وهو علم يتّخذ الأديان موضوعاً للدراسة؛ يبحث تاريخها، وتطورها، كما يسعى لعقد مقارنات بين الظواهر الدينية. وقد صُنفت فيه مؤلفات، وتخصص فيه رهط من العلماء المسلمين بحثاً، وتحليلاً، ونقداً. ووظفوا لذلك مناهج مختلفة، تنهل جميعها في فهمها، وأسسها المنهجية من معين التصور القرآني للأديان؛ إذ ساعدتهم النظرة العالمية للإسلام، التي تقوم على مبدأ التسامح، والانفتاح على الأديان الأخرى للاهتمام بهذا المجال الحيوي، والنبوغ فيه، فتنوعت اهتماماتهم، واتّسعت أبحاثهم لتشمل دراسة دين، أو دينين، فأكثر.

إلا أننا نجد من الباحثين المعاصرين الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، وهو من الشخصيات الفكرية العالمية الموسوعية، والإصلاحية التي جمعت بين الثقافة الإسلامية، والثقافة الغربية حتى لُقب برجل العالَمين.[2] ومن القلّة الذين

(١) ماجستير في مقارنة أديان من جامعة باتنة/الجزائر سنة ٢٠١٠م. تعد أطروحة دكتوراه في مقارنة الأديان بالجامعة نفسها، متحصلة على شهادة الكفاءة المهنية للمحاماة عام ٢٠٠٥م. البريد الإلكتروني: huda_lynda@yahoo.fr.

(٢) وصفه عميد كلية اللاهوت في جامعة ماكجل في مونتريال، ستانلي برايس فروست Staley Brice Frost، بقوله: "كان الفاروقي رجل العالَمين الشرقي والغربي، سبر غور كليهما بعمق." انظر: = = – الفاروقي، إسماعيل راجي، والفاروقي، لوس لمياء. **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة:

openkan.com

تركوا بصماتهم في العصر الحديث، خاصة في الدراسات المسيحية، واليهودية بشهادة أكابر المتخصصين في هذا المجال، ورغم ذلك لم يحظ باهتمام الباحثين؛ ما دفعنا إلى اختيار هذا البحث للتعريف بجهوده في دراسة الأديان.

ومن هنا فالبحث ينطلق من إشكالية أساسية هي: هل لإسماعيل راجي الفاروقي منهج في نقد اليهودية، والأديان عموماً؟ وما طبيعة هذا المنهج؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة تساؤلات: هل جاء بمنهج جديد في نقد الأديان، أو أنّه مجرد مقلد لغيره؟ وما تعريف منهج الفاروقي في نقد الأديان؟ وما مراحله النقدية؟ وما أهدافه؟ وما أثر الفكر الإسلامي، والغربي في صياغة منهجه؟ وما نتائج دراسته لكتب اليهود المقدسة، وعقائدهم، وفرقهم المعاصرة، والصهيونية؟

أما عن أسباب اختيارنا لهذا البحث، فتتمثل أساساً في تسليط الضوء على طبيعة منهج الفاروقي في نقد اليهودية. إضافة إلى سبب مهم متمثل في أن علم مقارنة الأديان -كما بيّنا- هو علم إسلامي المنشأ وليس غربياً كما يسعى علماء الغرب إلى ترويجه. لكن هذا العلم لم يرقَ بعدُ إلى الاهتمام المطلوب في عالمنا الإسلامي، وبين باحثينا، رغم ما يؤديه من دور جليل في وقتنا الحاضر. لأجل ذلك جاء هذا الجهد، ليؤكد أهميته، ويبرز الحاجة إلى إحيائه، لتعود السيادة الفكرية مرة أخرى لأصحابها، وليتم إنصاف الأديان الأخرى عند بسطها للنقد.

أما أهدافنا المسطّرة فنجملها في التعريف بجهود الفاروقي في دراسة اليهودية، ومحاولة إبراز المنبع الذي استقى منه معرفته، وكان وراء بروزه شخصية فكرية عالمية. إضافة إلى محاولتنا الخروج بتصوّر واضح عن منهجه في نقد اليهودية، وتقويم جهوده لمعرفة مدى تميّزه.

= - الفاروقي، إسماعيل راجي، والفاروقي، لوس لمياء. **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، الرياض: مكتبة العبيكان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٨م، ص١٦-١٧.

وقد اشتمل البحث على قراءة في جهود الفاروقي في دراسة اليهودية، وخطته المنهجية في نقد الأديان، لا سيما استخدامه لمفهوم وراء الدين، تناولنا فيه المفهوم ومسوّغات التأسيس لهذا المفهوم، وأصوله الفكرية، وأهدافه. كما اشتمل البحث على تحليل تطبيقات منهج الفاروقي في نقده لليهودية؛ لا سيّما نقده للكتب المقدسة اليهودية، والعقائد اليهودية، فالملل اليهودية المعاصرة، والصهيونية.

أولاً: إسماعيل راجي الفاروقي: قراءة في جهوده في دراسة اليهودية

عرُف عن إسماعيل راجي الفاروقي[1] غزارة تآليفه التي تجاوزت خمسة وعشرين كتاباً في عدد من المجالات المعرفية، إضافة إلى المقالات،[2] والبحوث التي تزيد عن مائة بحث[3] باللغتين العربية والأجنبية، نُشرت في مجلات علمية متعددة كمجلة المسلم المعاصر، وجريدة اللاهوت الكندية، وجريدة الأكاديمية الأمريكية للأديان، ومجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، وغيرها.[4] كما اشتغل

(١) انظر للتوسع حول حياة الفاروقي:
- طسطاس، عمار. "التوحيد كرؤية معرفية في فكر الفاروقي"، **مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان**، عدد١، ٢٠٠٥م، ص١٧.
- يوسف، محمد خير رمضان. **تتمة الأعلام للزركلي**، بيروت: دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٧٢.
- الغزالي، محمد. **الحق المر**، الجزائر: منشورات دار الكتب، د.ت، ص١٠٠.
- **نبذة عن حياة الدكتور إسماعيل الفاروقي** في الرابط:
http://www. ibrahimragab. com/ismail-20 (30-04-2008).
- العقيل، عبد الله. **المفكر الإسلامي المغترب إسماعيل راجي الفاروقي**.
www. hadielislam. com (15-03-2008).

(٢) انظر مقالات إسماعيل راجي الفاروقي على الموقع:
http://www. ismailfaruqi. com/bibliography (14-12-2009).

(٣) الفاروقي، إسماعيل راجي، والفاروقي، لوس لمياء. **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٤.

(٤) الفاروقي، إسماعيل راجي، ونصيف عيد عمر. **العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية**، السعودية: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص٢٢.

بترجمة عدد من الكتب.[1] وألقى كثيراً من المحاضرات في عدد من الملتقيات العالمية. ويجد القارئ حصراً لمعظم هذه الأعمال في مكان آخر من هذا الكتاب.

واهتم الفاروقي بالأديان أيّما اهتمام، فَهماً، وتحليلاً، ونقداً، بما في ذلك اليهودية. وكانت كتاباته في هذا الشأن من أهم الدراسات، كما يؤكد ذلك عبد الوهاب المسيري،[2] الذي اعترف بتأثره بفكر الفاروقي في كثير من المسائل، وفي ذلك يقول: "أما فيما يتصل بالشأن الصهيوني فلعل كتابات الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي عن اليهودية والصهيونية -وهو أستاذ ديانات مقارنة- هي التي بيَّنت لي الطريق لتجاوز (هكذا) السياسي وصولاً إلى المعرفي. وكان أسلوب معالجته للموضوعات مختلفاً تماماً عمّا كنت أقرؤه، فقد وضَّح لي كثيراً من الأبعاد الغامضة التي أخفقت كتب السرد التاريخي في توضيحها."[3] ونذكر كتبه المتخصصة في اليهودية، والتي تحدد مجال هذه الدراسة.

١- كتاب أصول الصهيونية في الدين اليهودي

قدّم الفاروقي من خلال هذا الكتاب دراسة تحليلية لنشأة الانفرادية في التوراة،[4] مميزاً فيه بين الصهيونية بوصفها حركة دينية فكرية، والصهيونية

---

(1) http://www. ismailfaruqi. com/bibliography (14-12-2009).

(٢) **عبد الوهاب المسيري (١٩٣٨-٢٠٠٨م)**: من أبرز المفكرين المسلمين المعاصرين. ركزّ اهتمامه على الدراسات اليهودية، والصهيونية، ليصبح في مصاف المتخصصين فيها. من مؤلفاته: "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" من ثمانية مجلدات؛ "نهاية التاريخ"؛ "الأيديولوجية الصهيونية". انظر:

- المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، قرص مضغوط، دار الأقصى للنشر والتوزيع الإسلامي، ٢٠٠٥م، مج١، ص١٨-١٩.

(٣) المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، ص٢٠.

(٤) الفاروقي، إسماعيل راجي. **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ، ص٧.

السياسية التي نشأت على يد ثيودور هرتزل[1] Theodor hertzel في القرن التاسع عشر. وبيّن أن مجال دراسته هي الصهيونية بمعناها الأول لغرض إبراز العلاقة بين الصهيونية بوصفها عقيدة عنصرية، والدين اليهودي الذي يفيض كتابه المقدس بهذه العنصرية.

وعن أهمية الكتاب يقول كامل الشريف (وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالأردن): "تبدو أهمية الجهد الذي بذله الدكتور الفاروقي -رحمه الله- في تحديد ملامح الخطر الصهيوني، وتتبع جذوره الفكرية الضاربة في أعماق التراث اليهودي، التي تجعل من الصهيونية عقيدة عنصرية حاقدة على البشرية جمعاء،"[2] ثم يضيف: "وهو بهذا العمل النافع يقدم خدمة جليلة للشباب العربي المسلم، لأنه يضع الفكرة الصهيونية في إطارها الحقيقي مجردة من أقنعة الدهاء التي تختفي وراءها. وحتى يدرك العرب والمسلمون أنه لا مجال للتفاهم مع الصهيونية."[3]

وقد اعتمد الفاروقي في هذا الكتاب على أساس نظري يسند دراسته؛ يتّكون من مجموعة أسس تساعد في ضبط مضامين البحث، والنقد، وتحديد أغراضه، وأصوله المعرفية، وتشمل المصادر والمفاهيم. أما مصادره، فقد زاوج بين المصادر اليهودية، والإسلامية.

---

(١) **ثيودور هرتسل (١٨٦٠-١٩٠٤):** مؤسس الحركة الصهيونية. ظهرت صهيونيته في باريس بعد حضوره محاكمة ضابط يهودي فرنسي اتهم بالخيانة عام ١٨٩٤م. على إثر ذلك أخرج كتابه المشهور (الدولة اليهودية)، طالب من خلاله بإنشاء دولة يهودية. انظر:
- الزغيبي، أحمد بن عبد الله بن إبراهيم. **العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص١١-١٢. للتوسع انظر كذلك:
- المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، ص٣٤٧ وما بعدها.

(٢) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٤.

(٣) المرجع السابق، ص٤.

شملت المصادر اليهودية كتاب العهد القديم، والكتابات اليهودية سواء باللغة الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية. نذكر منها فروست ستانلي برايس وكتابه: بداية العهد The Beginning of the Promisé؛ وجون برايت وكتابه: تاريخ إسرائيل A History of Israel وغيرهم. وهذا ما يؤكد حرصه الشديد على الموضوعية التي لا تتحقّق إلا بفهم للدين اليهودي كما يراه أتباعه، لا كما يفهمه هو، أو يفهمه المسلم بصفة عامة وحسب. كما اعتمد أيضاً على كتب التاريخ القديم لشعوب الشرق العربي.

أما المصادر الإسلامية فتشمل القرآن الكريم، لتأكيد بعض المبادئ التي صرّح بها، وأثبتها علماء الغرب بوصفها مسألة التحريف، أمثال فون جراف Von Graf، وكوهنن Kuenen، ووفلهاوزن Wellhausen، "فهؤلاء دفعهم حبّهم للاستطلاع لدراسة القرآن الكريم، بحثاً وراء ما يلقي الضوء على العهد القديم الذي كانوا يدرسونه بقصد تفهمه تفهماً علمياً، نقدياً، تحليلياً. وفي دراستهم للقرآن الكريم تشبّعوا بالمبدأ القائل بأن بني إسرائيل تلاعبوا في كتابهم المقدس، وأنّهم حرّفوه،"[1] وفي ذلك كشف عن دور القرآن الكريم في بلورة الدراسة النقدية للتوراة.[2] كما يؤكد بعض الحقائق التي لا تُعلم إلا بنص الوحي؛ كالقول بأن إبراهيم عليه السلام كان موحداً؛ إذ لم يذكر في أي أثر وصل إلينا قبل القرآن الكريم.[3]

كما كان للقرآن الكريم دور أيضاً في تأصيل الفاروقي لنظريته في نقد الأديان. ولئن بدا ذلك نشازاً بين النقاد المعاصرين، فإنه يجاري ما شيّده المتكلمون من أبنية معرفية لدراسة الأديان.[4] وقد يبدو لمتسرِّع أن ذلك عين الذاتية، ولا يلبث

(١) المرجع السابق، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٣.

(٣) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٦.

(٤) انظر:

- فرحات، عبد الحكيم."منهج القاضي عبد الجبار في دراسة الأديان"، (رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، ٢٠٠٤م)، ص٧٢-٨١.

أن يندفع بتنظيرات الفاروقي، وتطبيقاته؛ حين جعل أول خطوة في دراسة الأديان عدم التسرع في إسقاط أحكام مسبقة على الدين المدروس؛ أي اليهودية هنا، و"تعطيل جميع ما سبق من مفاهيم، وأحكام، وميول في تفسير المعطيات في ديانة أو ثقافة أخرى وفي استخلاص معانيها،"[1] إلى أن يتبلور الإدراك الصحيح لليهودية، وفق مبادئ الفهم التي وضعها الفاروقي، كما سيظهر لاحقاً.

كما أن دراسة الفاروقي لليهودية، والصهيونية استندت إلى مفاهيم مستمدة من النص القرآني، وهي: الدين العبري، والتحريف، والحنيفية؛[2] وهي مفهوم لم يتوار، ولم يختف بمجيء الإسلام، بل بقي نشطاً طوال أربعة عشر قرناً.[3] وهي نزعة مغايرة للعنصرية، وما وجود هذه النزعة التوحيدية الحنيفية في التوراة إلا دليل الفاروقي على بقاء أثارة من وحي فيها، مما جاء على لسان إبراهيم، وموسى، وسائر أنبياء بني إسرائيل -عليهم الصلاة والسلام- نلمح سماته في هذا الخضم الهائل من الوضع، والتزييف الذي طرأ عليها.

ومن الواضح أن الفاروقي قد سطّر أهدافاً سعى لتحقيقها من خلال هذا الكتاب؛ إذ عمد إلى إعطاء قراءة جديدة للدين اليهودي، بكلّ مفاهيمه، تتميّز بالعلمية، والموضوعية، لكنها في الآن ذاته لا تغفل طباع هذا الشعب، ولا أخلاقه، وما يضمره من حقد على الأمة الإسلامية، وعلى العالم أجمع. كما بحث النزعات التي كانت مجتمعة في العبرانيين، وخلفهم اليهود، ليؤكد وجود ما يثبت خلاف ما يدّعون من أنهم شعب الله المختار، وأنّ لهم أرضاً مقدسة أعطاهم إيّاها إلههم "يهوه" بين طيّات كتابهم المقدس. فهناك مفاهيم أخرى

(١) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهود**، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) الفاروقي، إسماعيل راجي. **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٨. وللتوسع انظر:

- بوعافية، ليندة."منهج الفاروقي في دراسة اليهودية"، (رسالة ماجستير، جامعة باتنة، ٢٠١٠م)، ص٣٣-٤٥.

(٣) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٨٠.

مخالفة، تجعل من إمكانية أن يكونوا كسائر البشر من الاحتمالات القوية، وهي النزعة الحنيفية الإبراهيمية، والتي يمكن أن تتحقّق، بل عدّها الحلّ لمعاناة اليهود، وتيار المستقبل. وبهذا تكون دراسته شاملة، وفي الآن ذاته تتميز بالدقة المتناهية، والموضوعية.

وقد اتّخذ من العهد القديم منطلقاً للدراسة، رغم رفضه له بحكم تحريفه، دون أن يلقي بالاً لسائر الكتب المقدسة الأخرى، انطلاقاً من موقف اليهود أنفسهم من ذلك. وقد وظّف مناهج علمية عديدة متداولة كالمنهج التاريخي، والوصفي، والمقارن. وسعياً منه للموضوعية في الطرح؛ فهو يلجأ أيضاً إلى تطبيق إجراء التوقف، الذي يُعد أهم الأسس التي يقوم عليها المنهج الظواهري، والذي أولاه أهمية كبرى في نقده للأديان. والتوقف يعني: "تعطيل جميع ما سبق من مفاهيم، وأحكام، وميول في تفسير المعطيات في ديانة، أو ثقافة أخرى، وفي استخلاص معانيها."[1]

٢- كتاب الملل المعاصرة في الدين اليهودي

يُعد هذا الكتاب أيضاً من الكتب المهمة، والمتخصصة في دراسة التيارات اليهودية المعاصرة، وهو إلى جانب الكتاب الأول يحققان تكاملاً بين ماضي التاريخ اليهودي، وحاضره.

وقد أثنى المسيري كثيراً على جهود الفاروقي في تناول هذا الموضوع، كما استعان بالكتاب في موسوعته،[2] خاصة وأن طرح الفاروقي لهذه الفرق، ونشأتها، وأعلامها، وعقائدها فيه من الجِدَّة؛ حين ربط نشأتها بالتأثر بالفكر

(١) المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) يقول المسيري: "أما فيما يتصل بالشأن الصهيوني فلعل كتابات الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي عن اليهودية والصهيونية" وهو أستاذ ديانات مقارنة "هي التي بينت لي الطريق، لتجاوز السياسي وصولاً إلى المعرفي. وكان أسلوب معالجته للموضوعات مختلفاً تماماً عما كنت أقرؤه، فقد وضّح لي كثيراً من الأبعاد الغامضة التي أخفقت كتب السرد التاريخي في توضيحها." انظر:
- المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، مرجع سابق، مج١، ص٢٠.

الغربي الأوروبي، العلماني، وظهور حركتي التحرير، والتنوير، فنشأت هذه الفرق -كما أوضح- استجابة لتلك التطورات، كما جاءت إجابة لسؤال اليهودي، كيف يمكنه الاحتفاظ بمكاسب التحرر، دون الإطاحة بالأمة اليهودية، وبالدين اليهودي؟ وكيف لليهودي المتحرر أن يتفهّم ولاءه لأمته ولتراثه؟

وقد اعتمد الفاروقي في هذا الكتاب على المصادر اليهودية، والإسلامية، ومن أمثلة المصادر اليهودية كتاب "اليهود في القرون الوسطى"، لإسرائيل أبراهامز Israel Abrahams، وكتاب "الجيتو ويهود روما"، لفيردينوند قريقوروفيوس Ferdinand Gregorovius، وكتاب"تاريخ اليهود" للكاتب أبراهام ليون Abraham Leon Sachar، وكتاب"أورشليم" لموسى مندلسون Mose Mendelsohn، وغيرهم.

أما المصادر الإسلامية، فقد تحدّثت عن تأثر اليهود ببعض الأنظمة الإسلامية، بحكم وجودهم في الدولة الإسلامية عبر التاريخ، وتركيزها على ما يسمى بالنظام الملّي،(١) الذي عدّتها نظاماً إسلامياً، تأثر به اليهود، وتمسّكوا به حتى وهم في الجيتو في أوروبا، أو بعد احتلالهم أرض فلسطين الإسلامية، لتؤكد لنا هذه المصادر عن إمكانية تعايشهم مع المسلمين، تحت حكم الدولة الإسلامية، وراية الإسلام، وتظهر ما تمتعوا به من حقوق وحريات، خاصة الدينية، من غير ذوبان، أو اضطهاد.

ويهدف هذا الكتاب إلى التعريف بالملل اليهودية المعاصرة تعريفاً دقيقاً، وهي: الملّة الإصلاحية، والملّة الأورثوذكسية، والملّة المحافظة، ثم الصهيونية

---

(١) **النظام الملّي** أو نظام الملة: من المصطلحات التي عرفها الفقه الإسلامي، وهو استمرار تاريخي لمصطلح أهل الذمة. إلا أن الأخير تعبير عن الخبرة الإسلامية. بينما الملة هو تعبير عن الخبرة العثمانية. ونظام الملة يركز على الانتماء الديني الذي لا يتعارض مع مفهوم الأمة. وقد قنّنه السلطان العثماني أبو الفتوح محمد الفاتح حين نظر لشعوب الدولة العثمانية على أساس الدين لا اللغة، ولا القومية في تنظيم روابطهم بالدولة. انظر في ذلك:

- حبيب، كمال السعيد. **الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية**، القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م، ص٤٠-٤١.

العنصرية، وعلاقتها بالملل الثلاث، ليصل بعد التحليل إلى نتيجة مفادها فشل هذه الفرق، وكذا الصهيونية السياسية في حلّ مشكلة اليهود. ليعطينا الحلّ من وجهة نظر إسلامية، وهو ضرورة العودة إلى الحنيفية السمحة التي تمثلت آخر الأمر في الدين الإسلامي، وهو الحلّ الوحيد الذي حقّق لليهود عبر التاريخ السلام، والأمن، وحرية الاعتقاد، دون أن يسلبهم أي حق من حقوقهم الدينية، أو السياسية، أو المدنية. وهذا هو مطلبهم في آخر الأمر.

ومنهجه في الكتاب لا يختلف عن كتابه الأول، لكن طبيعة الموضوع التي تقوم على معرفة الواقع، والسياق الذي نشأت فيه الملل اليهودية المعاصرة، جعلته يركّز على كتابات اليهود حول تلك الملل، ليعرضها بكلّ موضوعية، ثم يعرض كل ما يتعلق بكلّ ملّة؛ عقائدها، ودستورها، وعلاقتها بالصهيونية، ليعطي في الأخير حكمه النقدي.

٣- كتاب الأخلاق المسيحية Christian Ethics[1]

وهو كتاب ألّفه الفاروقي باللغة الإنجليزية. تناول فيه منهجه الجديد في دراسة الأديان، وبيّن مبادئه النقدية. ورغم أن عنوانه يوحي للوهلة الأولى أنه كتاب خصّه لدراسة الدين المسيحي، إلا أن المطّلع عليه يجد أن الفاروقي قد تناول في مقدمة الكتاب[2] البناء النظري لهذا المنهج والمتمثل في: ما وراء الدين metareligion بوصفه منهجاً يُمَكِّننا من الحكم على الأديان، ونقدها.

وقد تبلور هذا الكتاب للوجود بعد جهد جهيد، وبحث مضنٍ من قِبل الفاروقي طيلة سنتين قضاهما في كلية اللاهوت بجامعة ماكجيل (كندا)، أثمرت في النهاية هذا الكتاب الذي لم يُترجم بعدُ، وللأسف، إلى اللغة العربية.

وتظهر أهميته من خلال موقف رجال الدين المسيحيين منه، حين ترددوا

(1) Al-Faruq, Isma'il Raji. *Christian Ethics: A Historical and Systematic Analysis of its Dominant Ideas*. Montreal, DC:McGill University Press, 1967.

(2) Ibid., pp. 21-30

كثيراً في نشره، بعد انتهاء الفاروقي من إعداده، متحججين بأن المسيحي مهما غزر علمه، لا بدّ أن يشعر عندما يقرأ هذا الكتاب بأن الأسس الدينية للعقيدة المسيحية توضع موضع الاختبار في أعماق نفسه، ويُمسي التّحدي طاغياً داخل فكره، وقلّما ينجو أحد من هذه الهزة التي تقتلع الجذور، وتطيح بالكيان.[١]

ثانياً: ما وراء الدين (منهج الفاروقي في نقد الأديان)

اقترح الفاروقي منهجاً نقدياً جديداً، دعا إلى توظيفه في دراسة الأديان أسماه ماوراء الدين metareligion. فماذا يقصد به؟ وما مسوّغاته النقدية لتأسيسه؟

١- مفهوم ما وراء الدين ومسوّغات تأسيسه

ما وراء الدين مصطلح مركّب من شقين: دين، وما وراء (ميتا). وهذا ما يستدعي ضرورة معرفة معنى الكلمتين. أما كلمة "دين"[٢]، فلم يُعرّفها الفاروقي؛ ويبدو أنه يعني بها المعنى المتعارف عليه بين النقاد. وأما "وراء"، فهي ترجمة لكلمة ميتا metaphysic ؛ وهي بادئة تعني: بعد، وما بعد، وما وراء، وبين، ومع، وأعلى، وأسمى،[٣] ومن ذلك Metaphysic؛ أي ما وراء الطبيعة.[٤] وقد شاعت الكلمة

---

(١) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) **الدين:** جملة القول في المعاني اللغوية للكلمة عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين، يُعظم أحدهما الآخر. فإذا وُصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً، وانقياداً. وإذا وُصف بها الطرف الثاني كانت أمراً، وسلطاناً، وحكماً، وإلزاماً. وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يُعبر عنها. انظر:
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. **لسان العرب**، القاهرة: دار المعارف، د. ت، مج٤، ص١٦٦-١٧١.
- دراز، محمد. **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، الكويت: دار القلم، ١٩٨٠م، ص٢٩-٣٤.
- إسماعيل، محمد الحسيني. **الدين بين الحقيقة والوهم والاعتقاد**، مصر: مكتبة وهبة، ٢٠٠٤م، ص٢١ وما بعدها.

(3) Baalabaki, Munir. *Almawrid AlKabir* "A modern English Arabic Dictionary", Bairut: Dar Al-Ilm Lilmalaine, 2005, p. 1128.

(4) *Elkenze Dictionnaire* (français-Arab). Paris: maison sabek, 1997, p. 620.

أكثر في المجال الأدبي بظهور مصطلح ميتا نقدي Metacritic؛ أي ما وراء النقد، أو نقد النقد؛ وهو اتجاه نقدي أدبي جديد هيمن على نموذج النقد الأدبي؛[١] ويعني النقد الموجه للأعمال النقدية الأدبية. وقد استلهم الفاروقي هذا المفهوم في دراسة الدين، لينحت منه ما وراء الدين metareligion ويعني به -كما تبّين لي- عمليتي التقييم evaluation، والنقد critic، ولكلّ منهما دلالته.

بيّن الفاروقي معنى التقييم، وأرجعه إلى القيمة التي يمكن اغتنامها من سياق قيمي، والبحث عن رتبتها فيه، فقد تكون أعلى من أخرى، أو أقلّ منها، أو مناقضة لها، ووضع هذه العلاقات هو التقييم، أو إصدار الحكم.[٢] وهو بهذا المعنى أمر لا مفرّ منه في أي مجال معرفي، بما في ذلك دراسة الأديان.[٣] لذلك نجد الفاروقي في دراسته للتوراة يقول: "لا بدّ من المقارنة مع الثقافات، والديانات الأخرى السائدة في الشرق العربي، كي نصل إلى تقدير نصوص التوراة حق قدرها؛"[٤] أي معرفة قيمتها. فما وراء الدين إذن معناه معرفة قيمة الشيء.

أما النقد فمعناه إبراز الشيء، وإظهاره، وإبرازه.[٥] ومن المعاني المتفرّعة عنه: التمحيص، والمناقشة، واستخراج ما في الكلام من عيوب، ومحاسن.[٦] وجميعها معانٍ لغوية تشترك في معنى الاختبار، والفحص، والتقييم، والتحقيق،...، للتمييز بين ما هو صحيح، وما هو مزيّف. وهذا هو المعنى الشائع في المعاجم.

---

(١) بولديك، كريس. **النقد والنظرية الأدبية منذ١٨٩٠م**، عين مليلة: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص٢٣٨.

(2) Al-Faruqi, *Christian ethic*. p. 10

(3) Ibid., p. 94.

(٤) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص١٥.

(٥) ابن فارس، عبد السلام محمد هارون. **معجم مقاييس اللغة**، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م، ج٥، ص٤٦٧-٤٦٨.

(٦) المرجع السابق، ص٤٦٧-٤٦٨.

وقد ارتبط النّقد بالأعمال الأدبية، وصار يعرّف بأنه: الكشف عن جوانب النضج الفني للنصوص الأدبية، واستخراج ما فيها من قيم جمالية، وتقييم ما فيها.[١] وهذا ما يبيّن أن النقد يرجع معناه إلى التقييم أيضاً، ولذلك فقد وظّف الفاروقي التقييم، والنّقد بالمعنى نفسه. وعليه، إذا تحرر هذا تبيّن أن مصطلح ما وراء الدين عند الفاروقي يشمل عنصرين:

العنصر الأول نقد الدين: وهو -على حدّ تعبيره- مجرد نقد،[٢] ويمكن عدّه "مقدمة لأيّة دراسة مقارنة للدين،"[٣] تشمل "مجموعة المبادئ التقييمية النقدية التي يمكن من خلالها إصدار حكم على أي دين"، وتهدف إلى تقديم تحليل نقدي، منطقي للأفكار الرئيسة لأيّة ظاهرة دينية؛ لأنها في نهاية الأمر ليست أكثر من افتراضات يجب على العقل الإنساني الارتكاز عليها في تقييم أيّة تجربة دينية.[٤]

العنصر الثاني هو نقد النّقد Metacritics : ويظهر من تحليلات الفاروقي أنّ النّقد يتجاوز الدين، ليصل إلى نقد ما توصّل إليه العلماء، والمفكرون من دراسة الدين اليهودي. ولذلك نجده في حديثه عن الحركة النقدية للكتاب المقدس يقوم بدراسة نقدية لمختلف النظريات التي حُبكت حوله نظرية المصادر الأربعة وغيرها، ليصل إلى تحدي القول الراجح منها.[٥] وهذا هو المراد بنقد النقد.

وفي مسوّغات تأسيسه فإن أوّل ما نلحظه في حديث الفاروقي عن منهجه الجديد، تأكيده على أهميته، إذ عدَّه أمانة لا يمكن التواني في تحقيقها، ولا

---

(١) بولديك، **النقد والنظرية الأدبية**، مرجع سابق، ص٢٣٢.

(2) Al-Faruqi, *Christian ethics*, p. 10

(3) Ibid., p. 21

(4) Ibid., p. 32

(٥) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص١٢.

obeikan.com

التخاذل في تأسيسها، فنجده يقول: "وجهة نظرنا أنه يتعيّن علينا إنشاء مبادئ يمكن من خلالها للأديان أن تخضع للتقييم."[١] وهذه المبادئ التقييمية، كما أكّد، تختلف عن مبادئ ما وراء الدين التي أرساها بعض علماء مقارنة الأديان الغربيين أمثال: بيشوب ستيفان، وهاندريك كرايمر؛[٢] لأنّها تحاول تلافي القصور الكامن فيها، عندما أخضعوا الأديان المدروسة لمعايير دينهم.[٣]

وهذه المبادئ التقييمية، كما أكّد، تختلف عن مبادئ ما وراء الدين التي أرساها بعض علماء مقارنة الأديان الغربيين أمثال: بيشوب ستيفان، وهاندريك كرايمر،[٤] لأنّها تحاول تلافي القصور الكامن فيها، عندما أخضعوا الأديان المدروسة لمعايير دينهم.[٥]

ويرجع الفاروقي الأسباب الدافعة لتأسيس ما وراء الدين إلى سببين رئيسين، هما: الظواهرية وإشكالية الفهم، وطبيعة تاريخ الأديان.

أ- الظواهرية[٦] وإشكالية الفهم:

هناك اعتقاد سائد بين النقاد أن الظواهرية هي الطريق الصحيح لقراءة الدين

(1) Al-Faruqi. *Christian Ethics*, p. 20

(2) Ibid., p. 21

(3) Ibid., p. 21

(4) Ibid., p. 21

(5) Ibid., p. 21

(٦) **الظواهرية:** أو الفينومينولوجيا. مشتقة من كلمتين"فينومين": ويعني علم الظواهر. و"لوغوس": هو الكلام الذي يسمح بانجلاء ما يُتحدث عنه، وإظهار المتكلّم عنه. وقد عرَفها العلماء المسلمون الأوائل سيما البيروني. وأما في الغرب، فقد كان الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل أول من أدخلها في الفلسفة الغربية في بدايات القرن العشرين، وأسس لها، كما كان ماكس شيلر أول من أدخلها في دراسة الأخلاق، والدين. انظر:
- صليبا، جميل. **المعجم الفلسفي**، بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت، ج٢، ص٣٥.
- الحاج، كميل. **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠م، ص٥٢٦.

وفهمه، إلا أنّها في حقيقة الأمر لا تتعدى مرحلة الفهم، ولا تطمح إلى النقد،[١] ولذلك لا تستطيع أن تستوفي كل أغراض دراسة الأديان، والوفاء بطموحاتها، لاكتفائها بالفهم، واستغنائها عن باقي الوظائف؛ هذا إذا غضضنا الطرف عن مدى صحّة فهمها للدين المدروس، وهذا ما أكّده الفاروقي، ودعا إلى ضرورة إعادة النظر فيه.[٢] كما وافق الظواهريين حين اقترحوا منهجاً يصبو إلى تحقيق أقصى حدّ من الموضوعية عند دراسة الظواهر الدينية يقوم على ما أسموه الإبوخية epoche (التوقّف).

والإبوخية كما بيّن الفاروقي "تعطيل جميع ما سبق من مفاهيم، وأحكام، وميول في تفسير المعطيات في ديانة، أو ثقافة أخرى، وفي استخلاص معانيها؛"[٣] أي تحييد كل ما لدى الباحث المقارن من أصناف المقولات الدينية، والأخلاقية، والثقافية أثناء النقد، وضرورة تعليق اللاهوت العقدي لفهم دين آخر. ولذلك يتوجّب على الباحث ألا يُنزل على المواد الدينية أيّة مقولة لا تصدر عنها، وأن يتجنب الحكم لها، أو عليها قبل سبرها، وينصرف لدراستها، من خلال دخول ما يسمى بحقيقة الحياة life–fact؛ فيعيش تلك المعاني الدينية مدة طويلة، حتى يتبصّر بحقيقتها، ويفهم دلالتها عند المؤمن بها. وهذا ما يؤهله لإدراك قيمتها،[٤] وإلاّ ستبقى دراسته مجرد أحكام مسبقة، وأفكاراً مشوَّهة، وفي أحسن الأحوال ترسم صورة غير مكتملة.[٥] وهذا ما يجعل من الدراسة المقارنة أمراً صعباً، بل ضرباً من المستحيل.

والإبوخية بهذا المعنى من أهم أسس الظواهرية التي لا غنى عنها عند

---

(١) **علاقة العلوم الاجتماعية بدراسة الدين:** (١٢-١٢-٢٠٠٩) http://ar. wikipedia. org/wiki

(٢) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٦.

(4) Al–Faruqi, *Christian Ethics*, p. 5

(5) Ibid., p. 8

الفاروقي، مجارياً في ذلك موقف إدموند هوسرل، والظواهريين بشكل عام.[١]

وقد تمثّل الفاروقي هذا الإجراء في دراسة اليهودية، من خلال سعيه الدؤوب لفهم هذا الدين كما يفهمه أتباعه، وكما تعرضه كتبهم المقدسة، فكان بذلك في موقف العارض، والباحث وراء فهم الآخر، مستبعداً كل الأحكام المسبقة التي قد تقف عائقاً أمام سير البحث العلمي، للوصول إلى النتيجة المرجوة، وبلوغ الحقيقة، وهذا ما يتجلى مثلاً في دراسته لفكرة الاختيار؛ فنجده ينطلق من نصوص التوراة، وما تقوله في العهد الإبراهيمي، وتثيره من اختيار، من غير زيادة، أو نقصان.[٢] ثم يبيّن موقف علماء اللاهوت منه، بكل أمانة، وموضوعية، واستَكْنَه تصورهم له، وبيّن ملامحه، واستبطن مشاعرهم بكل إخلاص.

ورغم تأكيده على أهمية هذا الإجراء، وضرورة تطبيقه إلا أنه في الآن ذاته بصُر بالقصور المحدق به، فحاول بذلك صياغة مشروع ظواهري جديد يتجاوز هذا الإجراء. ولذلك فقد عدّه مرحلة منهجية أولى، تتبعها مرحلة نقدية؛ توظّف فيها مبادئ وصفية، تضمن الحياد إلى درجة كبيرة، أطلق عليها مبادئ الفهم الديني، أو المبادئ النظرية[٣] Theoretical Principle؛ وهي خمسة مبادئ تحكم الفهم، وتنظّم استيعاب معاني الظواهر الدينية. كما عدّها الأساس النظري للمقارنة، والوصول إلى الفهم الصحيح للدين،[٤] ورأى فيها مرحلة ضرورية، تؤهل للحكم، أو تقييم الدين المدروس،[٥] وتقضي على أكبر شبح يهدّد مثل هذه الدراسات، ويفضي إلى نتائج معرفية خطيرة،[٦] ونقصد بذلك "النّسبية"؛

---

(١) الحاج، **الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي**، مرجع سابق، ص٥٢٦.

(٢) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٢٠.

(3) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 11

(4) Ibid., p. 11

(5) Ibid., p. VIII

(6) Ibid., p. 9

Openkan.com

بوصفها إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية، التي تزعم أن الحقائق العلمية، والقيم الأخلاقية -بدعوى أنها تختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى- تتبدّل، وتتغير بتغير الزمان والمكان.[١]

والمبادئ النظرية الخمسة هي:

- الاتّساق الداخلي internal coherence:

فالمعيار الأول للصّحة يقوم على فكرة أساسية مفادها أن العناصر المشكّلة لأي نظام لا تتناقض مع بعضها بعضاً؛ لأن التناقض الذاتي قاتل لأي نظام.[٢] ولهذا فإن هذا المبدأ يعدّ قانوناً يحكم صحة الوحي.[٣] وقد أوضح الفاروقي في دراسته لليهودية أن كتابها المقدس يحوي هذا التناقض، الذي من شأنه أن ينفي صفة التنزيل عنه بشكل قاطع، ليؤكد أن كاتب التوراة الحقيقي هو عزرا شيخ العنصرية.[٤] ويتأكد ذلك من خلال جمعه بين الحنيفية، والعنصرية. وهما نزعتان متناقضتان، ثابتتان في التوراة، لم تلغ إحداهما الأخرى، رغم أنّ النزعة العنصرية هي طابعها العام، ومبدؤها الأول، والأخير.[٥] وهذا ما ذهب إليه معظم علماء مقارنة الأديان، منهم المفكر اليهودي الهولندي باروخ إسبينوزا.[٦] كما يتجلّى هذا التناقض أيضاً في رؤيتهم للإله مثلاً، فهي تجمع بين الرؤية الشِّركية، والرؤية التوحيدية الحنيفية، والأدلة من التوراة كثيرة وتؤكد ذلك.[٧]

---

(١) زيدان، محمود. **نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين**، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص١٠.

(2) Ibid., p. 11

(3) "Internal coherence: is a Law governing the validity of revelation. " Ibid., p. 11.

(٤) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٨٩.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠.

(٦) إسبينوزا، باروخ. **رسالة في اللاهوت والسياسة**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٧م، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٧) انظر مثلاً: سفر اللاويين، ٢٤: ٢٢؛ وسفر التكوين، ١٢: ١-٣.

- الاتّساق مع المعرفة الإنسانية المتراكمة Coherence with cumulative human knowledge:

فلا يمكن لأيّ دين أن يكون قانوناً مطلقاً في حدّ ذاته ما لم يتّسق مع المعارف الإنسانية، وقبل ذلك أن ينسجم مع تاريخ ذلك الوحي، ولا يتعارض معه، وينسجم أيضاً مع العوامل المؤسسة للوضعية أو الحالة الإنسانية المصاحبة.(١) فالواقع الجغرافي، الطبيعي، والاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والفكري المحيط بالوحي، كلّها عوامل حاسمة في فهمنا للحقيقة الموحى بها.(٢) وبتطبيق هذا المبدأ على اليهودية، نجد الفاروقي يفترض أن التاريخ اليهودي الذي يرويه كتابهم المقدس يتّفق مع ما جاءت به نتائج العلوم النقدية، وعلى رأسها علم التاريخ القديم،(٣) الذي ينطلق منه ناقدو العهد القديم، ويشمل الآثار، والمدونات الآشورية، والبابلية، والمصرية، للتوصل إلى المعلومات التي تلقي الضوء على هذا التاريخ. لكن ما لوحظ أنّ هذه المدونات تتّفق أحياناً مع الرواية التوراتية، وتتناقض معها في كثير من الأحيان. كما أنّه يفترض أن هذا التاريخ هو تاريخ الحنيفية الإبراهيمية، التوحيدية، وما جاء به موسى عليه السلام، إلاّ أنّ واقع ما ترويه نصوصهم هو قصة العنصرية التي تمثلت في المفاهيم العنصرية، سواء المرتبطة بالإله، أو الشعب، أو الأرض؛ الأمر الذي يؤكد عبث اليد اليهودية بهذا التاريخ الذي أصبح تاريخاً مقدساً، خادماً لها، ولأغراضها.(٤)

- الاتّساق مع الخبرة الدينية الإنسانية:

ينطلق هذا المبدأ من أن الله سبحانه وتعالى إذا كان مصدر الوحي، فإنّ أوامره لا تتعارض مع بعضها بعضاً، كما لا يمكن أن يتعارض وحي مع آخر، فمحتوى

(1) Al-Faruqi. *Christian Ethics*, p. 13

(2) Ibid. , p. 13

(٣) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص١٣.

(٤) المرجع السابق، ص٩٥.

الوحي يجب أن يكشف عن وحدة مصدره، وهي ليست إلا وحدة الحقيقة.[١] ويتجلّى ذلك في تأكيد الفاروقي على أن أساس الخبرة الدينية التي ميّزت بلاد ما بين النهرين، هي هذه الحنيفية. وأن العنصرية التي انفرد بها اليهود دون غيرهم من الأقوام مفهوم دخيل على الأصل، ومبتدع؛ لأن "الحقيقة التاريخية إذن، هي أن العنصرية، والحنيفية كانتا قويّتين في عصر البطاركة، وأنّ العبريين من المهاجرين انفردوا بأن كانت لهم النزعتان معاً، بينما لا نجد العنصرية في تراث أي قوم سامٍ آخر، فهم جميعا حنيفيون."[٢]

- الاتّساق مع الواقع:

يفترض هذا المبدأ أن الحقائق الدينية يجب أن تتطابق مع الواقع، وإلا فكيف تثبت صحتها؟ وهذا تأكيد على إلزاميتها، وشرعيتها. [٣] يقول الفاروقي: إن "بيانات التجربة الدينية يجب أن تجد لها دليلاً في الواقع،"[٤] ولهذا "فالدين الذي تكون ميتافيزيقيته، وأخلاقه، وتاريخه، وفهمه لتاريخ نشأته، وأسسه ترتكز على افتراضات تتعارض مع الواقع، لا بدّ وأنها ستعاني في مراجعتها لأطروحاتها في ضوء ذلك الواقع المتعارض معه."[٥]

وبتطبيق المبدأ على اليهودية، نجد أن الحنيفية نظرة للعالَم، تحمل في طيّاتها معاني الإخاء، والتسامح، والتعايش مع الآخر، وهذا ما يفترض في اليهود، بوصفهم يؤمنون بموسى عليه السلام، وتوراته، إلّا أنّ الواقع يؤكد بُعدهم عن هذه الرسالة، بتبجّحهم بمفاهيم عنصرية؛ كالقول بتفوّق جنسهم على باقي الأجناس؛

(1) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 14

(٢) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٣٤.

(3) Ibid., p. 14.

(4) Ibid., p. 14 "The data of religious experience must find corroboration in reality. "

(5) Ibid., p. 14 "A religion that bases its metaphysic, its morality, its history , or its understanding of the history antedating its establishment on assumption which run counter to reality must suffer a revision of its theses in the realities they contradict."

لأنّ "يهوه" اختارهم دون سائر الشعوب، ما ولّد في نفوسهم حبّ العزلة، ورفض الاندماج مع الأقوام التي وجدوا فيها، فكانت السبب وراء الاضطهاد، والتشرد، وعدم الاستقرار أينما حلّوا.[١]

- الأخلاق والقيم العليا:

كي يصير نظام ديني نظاماً تفسيرياً، ويقوم بوظيفة مبدأ تفسيري شامل لمحتوى أيّ أطروحتين معتبرتين، لا بدّ أن يخدم في عمومه مسيرة الإنساننحو الأخلاق، والقيم العليا، والربانية.[٢] واستناداً لهذا المبدأ يتبيّن أن الفاروقي يدعو لوجود معيار يمكن الاحتكام إليه في الحكم على مضامين الدين، ومعرفة الدخيل عليه. وهذا ما فعله في تحقيق التحريف في التوراة، عندما تبيّن منها العصبية، إذ جاء كتابهم المقدس مشبعاً بالتعصب العرقي، والسلالي لهذا الشعب. وهذا ما لا يليق بالله بوصفه ربّاً للعالمين، فلا أخلاق، ولا كمال، ولا ربّانية، بل النقيض. ولذلك عدّ الفاروقي ذلك أمارة تحريف.[٣]

ب- طبيعة تاريخ الأديان:[٤]

أشار الفاروقي إلى الطبيعة المشكِّلة لعلم تاريخ الأديان، واختلاف النّقاد في ماهيته بين اقتصار بعضهم على البحث المقارن، وادعاء آخرين أن وظيفته دراسة النظم الدينية، وقائلين إنَّ من مهامه القيام بوظيفة الدفاع عن عقائد الباحث؛ وهو لا يعدو أن يكون علم لاهوت (علم كلام) جديد.[٥] ويؤكد الفاروقي أن تاريخ

---

(١) انظر: الفاروقي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٢٣ وما بعدها.

(2) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 14.

(3) Ibid., p. 11-14.

(٤) دراسة تاريخ الأديان ليست بجديدة على الفكر الإسلامي؛ إذ عُرف بأسماء كثيرة، كعلم الكلام، علم مقالات غير الإسلاميين، علم الردود، وعلم الملل والنحل. انظر:
- فرحات، عبد الحكيم."أسس المنهج الإسلامي في دراسة الأديان"، **مجلة الإحياء**، عدد٢، ٢٠٠١م، ص٨٦.

(5) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 279.

الأديان يتألف من ثلاثة أنظمة متكاملة، وهي:

– إنّ تاريخ الدين يسعى لاكتشاف، وإثبات أن جماعة إنسانية معينة تشعر، وتؤمن، وتفكر، وتعرف، وتصدر أحكاماً، وتأتي أفعالاً دينية معينة. وهذا ما يمكن التحقّق من صحّته، بمدى تماسكه، بعرضه على واقع هؤلاء الناس، وأحوالهم،[١] وهم بذلك أفضل الحكام على دقّة عمل المؤرخ.[٢]

– إن مقارنة الدين تعني تعرُّفَ ما تفكر فيه جماعة، وتُحِسُّه، وتحتكم إليه، لنقارنه بأفكارنا حولها، وأحاسيسنا تجاهها، ومعارفنا فيما يتعلق بها، ومعتقداتنا حولها، ثم نقارنه بمعتقدات الآخرين، ولهذا فصحة المقارنة تتوقف على تمثّلها قوانين الفهم الديني التي نوقشت سابقاً، بوصفها المعيار الذي سيساعد كلاً من الباحث، والقارئ في بحث نقاط الاشتراك، والاختلاف.[٣]

– إن مقارنة الدين تُعدّ نتائج توصل إليها البحث المقارن من دراسة التجربة الدينية الإنسانية، وليست بالضرورة قواسم مشتركة؛ بل "هي تلك الحقائق الدينية، التي أظهر الفهم الطبيعي أنها صحيحة، ومرغوب فيها، وضرورية، وعززتها الخبرة الدينية للبشرية،"[٤] لذا فهو يرى في الأخير أن مقارنة الدين المدروس بهذه العناصر المشتركة للخبرة الدينية للبشرية محاولة لا يمكن تجنّبها لتقييم ديننا، أو أي دين الآخر.

ويظهر ممّا تقدم أن تاريخ الأديان عند الفاروقي يقوم بثلاث وظائف، لا وظيفة واحدة كما يتصوّر كثير من مؤرخي الأديان، وهي: وظيفة العرض، وظيفة المقارنة، ووظيفة النقد، ولذا كانت دعوته ضرورة وضع مبادئ نقدية، بدلاً

---

(1) Ibid., p. 15.

(2) Ibid., p. 16.

(3) Ibid., p. 18.

(4) Ibid., p. 19 "The common findings of the religious experience of mankind are those religious truths which natural comprehension had found to be true, desirable, and imperative and which the religious experience of mankind has corroborated. "

obeikan.com

من المبادئ الدينية المخفية التي يضمرها الباحث؛ حتى يكون النقد واضح المعالم،[1] وثابت النتائج. وفيما يأتي بيان لهذه المبادئ النقدية البديلة:

٢- مبادئ ما وراء الدين عند الفاروقي

لقد أسّس الفاروقي لمبادئ يحتكم إليها الدارسون للأديان بعد مرحلة التوقّف، ومرحلة الفهم التي أشرنا إليهما سابقاً، أطلق عليها مصطلح المبادئ التقييمية evaluative principles، أو مبادئ ما وراء الدين metareligion. وهذه المبادئ تختلف في أسسها، وأدواتها النقدية، وأهدافها عمّا أَلِفناه في الكتابات الغربية، ليؤكد أنه كان بالإمكان وضعها في قالب عقدي، وتقديمها على أنّها مبادئ إسلامية، إلا أنّ ذلك يظهرها متحيّزة، ويثير عليها كثيراً من الشغب؛ فيقول مؤكداً ذلك: "هذه الحقائق يمكن بالتأكيد وضعها في قالب عقدي، وتقديمها بوصفها مبادئ دينية، لكن بتقديمها بوصفها مبادئ دينية لن نكون أوفياء لقصدنا،"[2] لذلك صاغها صياغة عقلية.[3]

وقد أسس الفاروقي لهذه المبادئ من منطلق التوحيد، بوصفه تصوّراً عاماً للحقيقة، والواقع، والعالم، والزمان، والمكان، والتاريخ،[4] وحقيقته الشهادة عن الإيمان بأن: (لا إله إلا الله)، "فهي عنوان التوحيد."[5] وهو كذلك نظرة تفسيرية للوجود، تقوم على خمسة مبادئ، وهي: الثنائية، والإدراكية، وغائية الوجود، وقدرة الإنسان وتسخير الكون، ومسؤولية الإنسان.[6] وهذا ما شكّل نظرته

(1) Ibid., p. 20.

(2) Ibid., p. 31.

(3) Ibid., p. 31–32.

(٤) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٥) الفاروقي، إسماعيل. **جوهر الحضارة الإسلامية**، باتنة: الزيتونة للإعلام والنشر، د.ت، ص٤.

(٦) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٣٢ وما بعدها. انظر أيضاً:
- الفاروقي، **جوهر الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٤ وما بعدها.
- الفاروقي، **إسلامية المعرفة - المبادئ العامة - خطة العمل - الإنجازات**، لبنان: دار الهدى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٨٧ وما بعدها.

للخالق تعالى، والكون، والإنسان. وصار أساساً يرتكز عليه في نقد الأديان.

وعليه، فإذا كان الشّكل الخطابي لما وراء الدين عقلياً بحتاً، فإنَّ الفاروقي يؤكد أنَّ مضمونه إسلامي إلى النخاع، فهو يرى أن مبادئه "لا تخرج عن إطار الروح الإسلامية، فالإسلام يقبل بصدق المبادئ الستة لما وراء الدين متى جاءت في شكلها الفلسفي، وخالية من اللغة الدينية."[١] وهذا ما يجعل منها فلسفة عقلية نقدية، وعلم كلام جديداً، يأمل أن يعترف به المسلمون بوصفه تجسيداً للروح الإسلامية،[٢] وتمثيلاً للعقلانية[٣] في حدّ ذاتها[٤] التي تشجع، وتمنح ترخيصاً للإبوخية لتلج فهم الأديان الأخرى، وتؤيد ما وراء الدين بوصفه حَكماً مختصاً، ومؤهلاً للأديان الأخرى؛ لأن طبيعة الخطاب الإسلامي تُرحب بإرجاء، وتعليق اللاهوت العقدي للمقارن، حتى يتحقق التفاهم بين الأديان، والسلام العادل بين مطالباتهم.[٥] وقد ارتأى الفاروقي صياغة مبادئه في قالبين؛

---

(1) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 33

(٢) **الإسلامية:** عند الفاروقي نسبة إلى الإسلام الذي هو: "رؤية للعالم والزمن والحياة أوحاها الله تعالى إلى البشرية عن طريق سلسلة من الرسل انتهاء بمحمد ﷺ" لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. والإسلام ليس معناه الشائع أي مجرد كهنوت، أو تنظيم لاهوتي للعلاقة بين الخالق، والمخلوق، بل هو الرسالة الإلهية التي حمل قواعدها الأساسية جميع الرسل، وأخذت شكلها الأخير في رسالة خاتم النبيين، واشتملت على عقيدة، ونظام فكري، ورؤية، ونظام حياة. انظر:
- الفاروقي، **العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٧.
- العلواني، طه جابر. **نحو منهجية قرآنية** (محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة)، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٢٢.

(٣) **العقلانية**: عرّفها الفاروقي بأنها رفض التناقض النهائي بين العقل، والوحي. و"لا يعني تقدم العقل على الوحي، بل رفض أي تناقض أساساً بينهما. "وهو أيضاً "رفض التناقض النهائي، بل هو رفض استمرار التناقض بينهما." ومؤكدا أن هذا ما عمل به السلف الصالح. انظر:
الفاروقي، **جوهر الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٧.

(4) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 33

(5) Ibid. , p. 33

أحدهما فلسفي عقلي، والآخر إسلامي ديني، تبعاً لمسلّمات المخاطب، وهذا ما سنتولى تحليله فيما يأتي:

أ- مبادئ ما وراء الدين في شكلها الفلسفي:

إن ما وراء الدين في شكله الفلسفي يقوم على المبادئ الآتية:

المبدأ الأول: الوجود مستويان (عالم المثال والواقع المحسوس):

وهو ما اصطلح عليه بـ"ثنائية الوجود."[١] والوجود عند الفاروقي مستويان: فعلي، ومثالي، أو واقع، وقيمة.[٢] ولا يمكن عدّ الواقع، والمثال وجوداً واحداً، ولا الواقع، والقيمة شيئا واحداً؛[٣] لأن الإسلام يُنكر على القائلين بالواحدية؛ لأنها ضرب من الشرك. فهناك تضاد بين التوحيد، والقول بوحدة الوجود، وبالحلولية،[٤] التي نلمح سماتها في اليهودية ويرى معتقدوها أنّ الله حلّ في الشعب، فأصبح الشعب المقدس، وحلّ في التاريخ فصار مقدساً، وحلّ في الإنسان فصار كذلك، وحلّ في الأرض فصارت مقدسة. وكلها ادعاءات تتعارض مع القول بالتوحيد.

المبدأ الثاني: صلة المثال الأعلى بالواقع:

يرى الفاروقي أن "المثل الأعلى هو النموذج الأعلى لكل ما هو صالح، وأخلاقي، وجميل،"[٥] ومعيار القيمية، والخيرية، والصلاح في أعم معانيه، والمقياس الذي به نعرف ما إذا كان الفعلي ذا قيمة أم لا، ومن دونه لا يمكننا القول إن لدينا الفعلي، ولا يمكننا أيضاً القيام بحكم تقييمي له.[٦] ولو كانت

(١) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٣٢.

(2) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 22

(3) Ibid. , p. 22

(٤) المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، ص٢١٢.

(5) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 24.

(6) Ibid., p. 23.

obeikan.com

القيمة لا علاقة لها بالواقع، فلا مغزى من تمييز أحدهما عن الآخر،[١] ما يجعل عالم المثل غير مساهم في التخلص من المصاعب التي تواجهنا.[٢]

المبدأ الثالث: صلة المثالي بالفعلي هي أمر:

فعالم المثل الأعلى له علاقة بعالم الوجود الفعلي، وتتمثل هذه العلاقة في مجموع الأوامر. وبغضّ النظر عمّا إذا أطاعها الإنسان، فعالم المثل الأعلى يصرّ على تلك الأوامر، وفي الآن ذاته يحكم على الوضعية الفعلية بالثناء، أو الإدانة،[٣] ومن ثمّ فلعالم المثل الأعلى صلة بالإنسان بوصفه عضواً في العالم الفعلي، يرسل له الأوامر التي يمكن أن يخفق في أدائها، وتمثلها.[٤]

المبدأ الرابع: الوجود الفعلي في حدّ ذاته خير:

إن عالم الوجود الفعلي، أو الوجود الحقيقي هو هذا العالم، والكون. وهو منظم، وصالح ليكون فيه الإنسان، ويحيا في مناكبه، لكن بحكم حضوره هذا عليه تحقيق جملة من القيم العليا، وممارسة الخيارات الخُلقية التي تواجهه، ويبرهن من خلال أعماله على ما له من قيمة أخلاقية في هذا الوجود.[٥] كل ذلك لتأكيد إنسانيته، ومقدرته على تغيير الكون بإرادته، وعمله، إلاّ أن القول بأنّ هذا الكون صالح لا يعني أنه مثالي، وكامل، كما لا يعني أنه لا يمكن أن يصبح أفضل مما هو عليه.[٦]

---

(1) Ibid., p. 24.

(2) Ibid., p. 24.

(3) Ibid., p. 24.

(4) Ibid., p. 24.

(٥) الفاروقي، **إسلامية المعرفة**، مرجع سابق، ص٩٤.

(6) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 28.

المبدأ الخامس: الوجود الفعلي مرَن أو طيِّع:

فالإنسان قادر على إعطاء اتجاه جديد للسببية، ودفع واقعه إلى الأمام، حتى يصبح هذا الواقع شيئاً مختلفاً عما هو عليه.(١)

المبدأ السادس: الكمال والإتقان هو عبء البشرية وحدها:

فالعناصر العضوية، النباتات، والحيوانات، وغيرها، تخضع جلّها لقوانين الحتمية، والإنسان هو المخلوق الوحيد القادر على الانحراف عن مسارها. وهذا يعّد امتيازاً فريداً له، كي يبقى في الكون، ويغيّر مجرى الضرورة.(٢)

ب- مبادئ ما وراء الدين في شكلها الديني:

ويقدم الفاروقي ما وراء الدين في شكله الديني، من خلال افتراضه أن الله موجود، وأن هذا الكون خَلقُه، ليُثبت توافق العقل والنقل. وتتفرع عنه المبادئ الآتية:

المبدأ الأول: عالم الله مختلف تماماً عن عالم الوجود الفعلي:

وهو الواحد، والوحيد المتعالي،(٣) لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وهو الخالق، وما سواه مخلوق. والعالمان مختلفان من حيث طبيعة وجودهما، ومساريْهما،(٤) منفصلان عن بعضهما انفصالاً تاماً. فلا يمكن للخالق أن يتّحد، أو يحلّ، أو يتجسد في المخلوق؛ لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]، ولا يمكن للمخلوق أن يرقى إلى مرتبة الخالق.(٥)

(1) Ibid., p. 29.

(2) Ibid., p. 30.

(3) Ibid., p. 31

(٤) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٥) الفاروقي، **جوهر الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٥.

المبدأ الثاني: عالم المثل الأعلى ذو صلة بالعالم الفعلي:

ويعني هذا المبدأ أن عناية الله لهذا العالم حتى وإن كانت طبيعته بعيدة عنّا، يمكن أن تكون معروفة لدينا، ويمكن إدراكها،[1] استناداً لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

المبدأ الثالث: علاقة المثل الأعلى بالعالم الفعلي هي القيمة:

يعني أن عناية الله لهذا العالم هي أمر، وهذا الأمر يجب أن يطاع، ويعني أن إرادة الله ضرورية لا يمكن تجنبها في الطبيعة، ولا في الإنسان بُعديه البيولوجي، والتشريعي، عندما تظهر للإنسان أيضاً بوصفها أوامر تحدّد حياته، ومصيره باختياره.[2]

المبدأ الرابع: عالم الوجود الفعلي صالح وخير:

فالله تعالى خلق الكون لحكمة هي تسخيره لخدمة الإنسان وحده، وجعله تحت تصرّفه، لتحقيق حاجاته، فسخّر له الأرض، والسماء وما بينهما، لتعميرهما بكل خير، كما جاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

المبدأ الخامس: عالم الوجود الفعلي مرن:

ويعني ذلك أن طاعة أوامر الله ممكنة، وهي تمثل أخلاق السعادة الحقيقية في الدنيا، والآخرة،[3] قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

---

(1) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 31

(2) Ibid., p. 31

(3) Ibid., p. 31

المبدأ السادس: الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي تقع عليه مسؤولية طاعة أوامر الله، وتحقيق متطلبات خلافته في الأرض:[1]

ويتحقق ذلك بطاعة الله، والخضوع له، وعبادته استناداً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والاستخلاف في الأرض، وتعميرها، يُعدُّ أسمى الغايات، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]. وهي الأمانة التي حملها الإنسان، دون سائر المخلوقات كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وما يمكن أن نلاحظه أن هذه المبادئ هي نفسها مبادئ التوحيد التي تُدرس في العقيدة الإسلامية، والتي بسطها الفاروقي أيضاً في مشروع إسلامية المعرفة.[2] وما نستنتجه كذلك أنّه قد قدّمها في قالبين؛ الأول فلسفي، عقلي، لأنه يخاطب أتباع الأديان الأخرى، وتمثلت في مبادئ ما وراء الدين التي عدّها أساسه في نقد الأديان الأخرى. على عكس إسلامية المعرفة التي لغتها لغة دينية، تعبّر عن انتمائه الإسلامي بكلّ وضوح، ولا ضير؛ إذ هي في الأصل رسالة موجهة للأمة الإسلامية وأبنائها.

---

(1) Ibid., p. 31

(٢) **إسلامية المعرفة**: مشروع دعوي ضخم تبنّاه الفاروقي، وكرّس حياته لتحقيقه. كان يصبو من خلاله إيجاد منهجية تتجاوز تبعية العالم الإسلامي للغرب، وتحلّ أزمته الفكرية في القرن العشرين، وفي ذلك يقول: "إن جيلنا هو الذي اكتشف هذا التناقض عندما عاشه في حياته الفكرية. ولهذا فنحن ننبه العالم الإسلامي إلى هذا الشر، ونسعى لأول مرة في التاريخ إلى تطوير خطة توقف سريانه، وانتشاره، وتتصدى لنتائجه، وتعيد التعليم الإسلامي إلى نهجه القويم." للتوسع انظر:
- الفاروقي، **إسلامية المعرفة**، مرجع سابق، ص٥٠ وما بعدها.
- صافي، لؤي."إسلامية المعرفة بين المبادئ المعرفية إلى الطرائق الإجرائية"، **مجلة إسلامية المعرفة**، عدد٣، ١٩٩٦م، ص١٣.
- الفاروقي، "أسلمة المعرفة"، **مجلة المسلم المعاصر**، عدد٣٢، ١٩٨٢م، ص٩ وما بعدها.

ويمكن الآن أن نجمل أهمّ ثلاث مزايا تميز به مفهوم "ما وراء الدين" عند الفاروقي:

المزية الأولى: أن "ما وراء الدين" هو مجرد نقد علمي،[1] الهدف من ورائه تقديم تحليل نقدي، منطقي للأفكار الرئيسة لأيّ فكر ديني، اعتماداً على مبادئ العقل، ومكتسباته المقررة.[2] والمزية الثانية: هي العقلانية، فمبادئ ما وراء الدين هي مبادئ إسلامية. ورغم أنّه صرّح بأنّ نقده ليس إسلامياً،[3] إلا أنه -كما تبيّن- يمثل مبادئه، ولا يتعارض معه، ويأمل أن يعترف به المسلمون بوصفه تجسيداً للروح الإسلامية.[4] وما أثرناه يبيّن أن الفاروقي يصبو إلى الجمع بين العقل، والوحي. ومن الواضح أنه أفاد من منهج بن تيمية في الجمع بينهما، في ثنائية لا تقبل الانفصال.[5] والمزية الثالثة: أن "ما وراء الدين" منهج لنقد أديان العالم، أراد من خلاله تمكين الباحث المقارن من نقد أي دين من أديان العالم دون استثناء، وهذا الأمر فيه من الإبداع، والجّدة، ما جعل منهج الفاروقي منهجاً مختلفاً عن تلك المناهج التي اعتمدها علماء الإسلام القدامى في دراساتهم للأديان، وحتى المعاصرين؛ لأن مناهجهم لا تخرج عن أحد النوعين؛ إما دراسة دين واحد، أو دينين، أو أكثر من منظور دين واحد، أو نموذج واحد هو "الإسلام". لكن الفاروقي خرج عن المألوف في دراسة الأديان، ليُخطّ لنفسه، وللباحثين من بعده طريقاً جديداً، متميزاً في دراسة الأديان كلها بمنهج واحد هو ما وراء الدين. ولهذا يمكن عدّه نموذجاً متميّزاً [6] وظّفه لنقد الأديان، ومارس

(1) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p32.

(2) Ibid., p. 32.

(3) Ibid., p. 32.

(4) Ibid., p. 33.

(٥) العلواني، طه جابر. **ابن تيمية وإسلامية المعرفة**، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٨١.

(٦) **النموذج:** في اللغات الغربية مرادف لـlaw ,general ,theory ,system ,type ,paradigm ,structure: =

من خلاله الموضوعية، وفي الوقت نفسه حافظ على انتمائه العقدي.[1]

٣- الأصول الفكرية لما وراء الدين وأهدافه

أ- الأصول الفكرية لما وراء الدين:

سعى الفاروقي لوضع نظرية إسلامية لنقد الأديان، مستفيداً من موقف الإسلام وعلاقته بالأديان المختلفة.[2] وقد عرض خصائصها في مقال له بعنوان "نحو نظرية إسلامية لما وراء الدين،"، وهذه الخصائص تجعل من منهجه "ما وراء دين" إسلامي، عقلاني، ونقدي،[3] وقد لخّصها في النقاط التالية:

إنّ "ما وراء الدين" الإسلامي يفترض أن كل دين وحي من الله تعالى، وأمر إلهي. وهذا ما يجعل الدين في الأرض واحداً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران:١٩]، إلا إذا أصبح من الثابت تاريخياً أن العناصر المكوّنة له هي من وضع الإنسان.[4]

- وأنّه يربط الأديان بالمصدر الإلهي، لأنَّه لا توجد جماعة على الأرض إلا وأرسل الله تعالى لها رسولاً كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ليعلّمهم الدرس الديني نفسه الذي يتألّف من مبادئ التوحيد، والأخلاق، والتقوى، والفضيلة،[5] استناداً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ

= وفي اللغة العربية نجد: نظرية، منطلقات، إطار مرجعي. والسمة المشتركة لها كلها هي الذاتية، والموضوعية. انظر:
- المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، مج١، ص١١٣-١١٤.

(١) المرجع السابق، ص١١٤.

(٢) انظر: الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٣٨ وما بعدها. انظر أيضاً:
- Al-Faruqi, Ismail."*Towards an Islamic theory of meta-religion*."

(3) Ibid.

(4) Ibid.

(5) Ibid.

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

– وأنه يمنح للبشر استعداداً للتعبير عن الحقيقة الدينية، إما لأن هذه الحقيقة قد بُلغت للبشر جميعاً، عن طريق الرسل، أو أنهم قد وُلدوا على فطرة تمكنهم من معرفة القانون الأخلاقي، والتمييز بين الخير، والشر، لقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ [الروم: ٣٠]. ولهذا فهذه النظرية الإسلامية تجمع البشر حول مبادئ مشتركة في الدين، والأخلاق، فتخرج بهم عن مجالات الخلاف.(٦)

– وأدرك ما وراء الدين الأهواء التي تسيطر على البشر، والتحيّز، والقصور الذي يعتريهم، وتأثير ذلك على نصوص الوحي، لذا فهو يدعو كل البشر، وخصوصاً علماء كل دين ليُخضعوا تقاليدهم الدينية لدراسة نقدية، عقلانية، وعدّ هذه المهمة النقدية التاريخية لكل أديان التاريخ مهمة كل البشر، وهم فيها إخوة، يجب أن يتعاونوا لإثبات الحقيقة الأساسية الكامنة وراء تعدد الأديان.

– ويكرِّم ما وراء الدين العقلَ إلى درجة يساويه بالوحي، بل يؤكد عدم وجود تعارض بينهما، وهذا ما يجعل الباحث المسلم متسامحاً، ومنفتحاً على الدليل، وحتى على النقد.(٧)

– فهو إنساني، لأنه ينظر للإنسان على أنّه لم يولد وهو حامل لخطيئة أو ذنب، وهو قادر على تمييز الخير، والشر، ومالك حرية الاختيار. وهو بذلك مسؤول عن أفعاله.(٨)

– إنّ ما وراء الدين نظرة إيجابية للعالم والحياة؛ لأن الإنسان مأمور لأداء واجب الخلافة في الأرض، ولم يُخلق سُداً.(٩)

---

(٦) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٢٨١.

(7) Al–Faruqi, *Christian Ethics*, p. 31.

(8) Ibid., p. 31.

(9) Ibid., p. 31 .

– وإنّ ما وراء الدين يُقر أن الدين واحد، وهو وحده الذي حفظه الله تعالى في القلوب،[1] وفي الرسالة الخاتمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، ليمنح للبشرية هدية تعدد القوانين، ويسمح بتوحّدهم تحت رعاية مبادئ ما وراء الدين وإشرافها، والقوانين الخاصة بهم. ويدعو أتباع الأديان الأخرى للنظر بحكمة، وعقلانية، ونقد، وحرية، عندما لا يمكنهم أن يتوحّدوا تحت راية رؤية واحدة، هي: ما وراء الدين.[2] وهذه النقطة يمكن عدّها الجانب التطبيقي لما وراء الدين، وكيف تجسّد في التاريخ على يد مبعوث السلام وخاتم الأنبياء ﷺ، ومن جاء من بعده؛ إذ أرسى أسس التعامل مع غير المسلمين، وأتباع الأديان الأخرى، بالأخص اليهودية، والمسيحية، وأعلن عن أول دستور لدولة إسلامية، تشمل اليهود، والمسيحيين في بلاد العرب؛ فعقد معهم معاهدات سلام،[3] وتحالف، لا تزال من أوثق المواثيق السياسية في تاريخ الإسلام والإنسانية، واعدهم فيها، وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وقرّر حرية العقيدة وحرية الرأي، فكانت حدثاً جديداً منفتحاً في الحياة السياسية، والمدنية آنذاك.[4] وكلّ ذلك يؤكد أن الإسلام دين لا يبغي إلا نشر السلام، وجمع الكلمة على أساس من التوحيد الخالص لله تعالى.[5]

ب– أهداف منهج "ما وراء الدين":

ومن الواضح أن الفاروقي سعى من خلال ما وراء الدين تحقيق أهداف، أهمها:

الهدف الأول: هو الدفاع عن الإسلام، والدعوة له:

يرى الفاروقي أن الإسلام لا يزال منذ أربعة عشر قرناً وإلى يومنا هذا

(1) Ibid., p. 31.

(2) Al–Faruqi, Ismail."*Towards an Islamic theory of meta–religion*.".

(٣) خالد، حسن. **موقف النبي من الديانات الثلاث**: الوثنية، واليهودية، والنصرانية، لبنان: دار الكتاب الإسلامي، د. ت.، ص٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص٦٠.

(٥) المرجع السابق، ص٦١.

يعرف مأساة شديدة الخطورة بسبب صراعه مع شقيقتيه، اليهودية، والمسيحية،[1] والموقف العدائي منه.[2] ولهذا فقد دافع عنه من خلال طرح منهجية في التعامل مع تلك الأديان، لردّ الاعتبار له، بوصفه الدين الحق الذي يجب أن يسود في الأرض، ولا يتم ذلك إلا من خلال نقد الأديان الأخرى، والحكم عليها، وفقاً لمنهج ما وراء الدين، ومبادئه القرآنية، ولكن بلغة عقلية على الأقل يقبلها الآخر بوصفها أرضية مشتركة تجمع بين جميع الأديان.

والهدف الثاني: هو للتواصل والحوار بين الأديان والحضارات:

فقد سعى الفاروقي إضافة إلى ذلك لخلق أرضية مشتركة للتحاور. وهذا ما أكّده هندريك كرايمر؛ إذ عدّه باحثاً مسلماً، عقلانياً، معاصراً، عمل على خلق أرضية للحوار مع الآخر، سعى من خلاله للقاء الأفكار على مستوى علمي، من خلال مبادئ تحكم هذا الحوار على أسس العقلانية، وتنبني على أسس منطقية، عالمية.[3] ولكن الحوار الذي دعا إليه الفاروقي هو الحوار الإسلامي المسيحي، فهل هناك حوار إسلامي مع الأديان الأخرى؟

والإجابة استناداً إلى ما وراء الدين هي بالإيجاب؛ لأن الإسلام يقبل الآخر، ويدعو للتواصل الحضاري، والتفاهم العادل معه، فالحوار بين حضارة دينية، وأخرى ضرورة دعا إليها الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... ﴾ [النحل: ١٢] هدفه بناء علاقات جوار، وتعايش سلمي؛ لأن في تطبيق هذا المفهوم، والالتزام به تتحقق المصلحة الإنسانية.[4]

(1) Al-Faruqi, *Christian Ethics*, p. 33.

(٢) طعيمة، صابر. **محنة الأقليات الإسلامية والواجب نحوها**، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٣.

(3) Al-Faruqi,*Christian Ethics*, p. Vlll, Preface to the book by Kreamer.

(٤) عميراوي، احميدة. **شروط الحوار بين الثقافات والحضارات**، الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ٢٠٠٣م، ج١، ص٦٠١.

وعليه، إن ما وراء الدين لا يعدو أن يكون منهجاً إسلامياً جديداً مقترحاً يحمل مشعل الدعوة للإسلام، ويمكن أن يفيد دراسة الأديان، لا سيما بعد تلك الأصوات التي تتعالى في الغرب داعية إلى ضرورة تخلي الباحث عن انتمائه الديني، وتصوراته بحثاً عن الموضوعية. فهو يعطينا صورة أخرى بعيدة كل البعد عن ادعاءاتهم، حين أوجد طريقة تُمكّنه من الجمع بين إطاره المرجعي، وبحثه عن الموضوعية في دراسة الأديان من خلال اعتماد إجراء التوقّف، وتعليق إطاره المرجعي مؤقتاً إلى حين فهم الدين الآخر، ليتمكن بعدها من نقده، والحكم عليه. وهذا ما سنلحظه بوضوح في جانبه التطبيقي على اليهودية.

ثالثاً: تحليل تطبيقات منهج الفاروقي في نقد اليهودية

نشرع الآن في الجانب التطبيقي لمنهج الفاروقي في دراسته لليهودية؛ من خلال نقده لكتب اليهود المقدسة، وعقائدهم، ومللهم المعاصرة، وأخيرا الصهيونية. كل ذلك بهدف معرفة مدى تميزه في العرض، والتحليل، والنقد وفق خطته المنهجية التي تحدثنا عنها سابقاً.

١- منهجه في نقد الكتب المقدسة اليهودية

عرض الفاروقي كتب اليهود المقدسة عرضاً موضوعياً، ليصل إلى نتيجة مفادها أن دائرة المقدسات عند اليهود تتّسع مرة بعد مرة، لتشمل ما هو كلام إلهي، وما ليس كذلك. وهذا ما أطلق عليه المسيري "التركيب الجيولوجي التراكمي" الذي تعيش داخله طبقات متراكمة.[١] وقد ركّز نقده للتوراة، ومصادرها الأربعة التي يُرمز إليها بـ (J.E.P.D.)[٢] انطلاقاً من موقف اليهود أنفسهم؛ إذ

(١) المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، مج٥، ج٢، ص٦٨.

(٢) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، انظر أيضاً:
- ظاظا، حسن. **الفكر الديني اليهود**، دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٩٩٩م، ص٢٦.
- المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، ص١٣٧.
- بوكاي، موريس. **التوراة والإنجيل والقرآن**، لبنان: المكتب الإسلامي، ١٩٩٠م، ص٣٢.

عدّوها وحياً إلهياً، ونصاً مقدساً،[١] مستعيناً بالنقد التاريخي لتأكيد التحريف، وظروفه، وملابساته، ليصل إلى نتيجة مفادها أن التوراة الحالية لا تمت بصلة إلى توراة موسى-عليه السلام- وأن كاتبها الفعلي هو عزرا شيخ العنصرية،[٢] هذا الأخير الذي أعاد صياغتها في المنفى صياغة عنصرية، ورجّح التفهم العنصري على التفهم الحنيفي لأحداث الماضي في المصدر P الذي ينسب إليه.[٣] وقد وافق برأيه هذا معظم ما ذهب إليه علماء مقارنة الأديان كالجويني،[٤] والمفكر اليهودي إسبينوزا.[٥] واستدلّ على وقوع التحريف بالتناقضات الصارخة في نصوص التوراة، وعدّ ذلك امتداداً لأخلاقيات اليهود التي جرّدت النص من صفة التنزيل. وقد ركّز دراسته على شكل واحد من أشكال التحريف، وهو تجاذب نزعتين متناقضتين؛ هما النزعة الحنيفية التوحيدية، والنزعة العنصرية،[٦] ولم يلبث المصدر P أن تدخّل، ليرجّح النزعة العنصرية، لكن دون أن تلغي إحداهما الأخرى، فهما تتجاوران، ولكنهما لا تمتزجان،[٧] ليصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أن "التوراة كانت في يوم من الأيام كتاباً إلهياً عزيزاً، إلا أن اليهود لا سيّما داود وكهنته، وعزرا ورجاله حرّفوها وزاغوا بها عن أهدافها الإلهية، ومراميها الأخلاقية العالمية، فجعلوا منها كتابا تعصبيا عنصريا."[٨]

---

(١) شلبي، أحمد. **مقارنة الأديان** "اليهودية"، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٨٨م، ص٢٦٤. انظر أيضاً: - الخطيب، محمد أحمد. **مقارنة الأديان**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

(٢) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٨٩.

(٣) المرجع السابق، ص٧٠، ٩٣.

(٤) الجويني، أبو المعالي. **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من تبديل**، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩٨م، ص٣٤.

(٥) إسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، مرجع سابق، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٦) قارن بين نص: سفر اللاويين، ٢٤: ١٩-٢٠. وسفر التثنية، ٢٣: ٢٠.

(٧) المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، ص٦٨.

(٨) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٩٥.

وما نستنتجه من تحليلات الفاروقي، ونقده للتوراة، ومصادرها الأربعة أنّه يؤمن بوجود مصدرين لا أربعة كما ذهب إليه النقد العلمي الحديث، بدليل وجود النزعتين المتناقضتين في التوراة، معتبرا المصدر العنصري P الذي ينسب لعزرا مصدراً يقابل المصادر الثلاثة الأخرى (.J.E.D).

٢- منهجه في نقد العقائد اليهودية

درس الفاروقي العقائد اليهودية دراسة تحليلية، تاريخية، منطلقاً من العهد القديم، لتحقيق الموضوعية المنشودة باعتماد إجراء التوقّف epoche بوصفه أول خطوة في منهجه النقدي، سعياً منه لبلوغ فهم الدين اليهودي كما يحياه اليهود أنفسهم لا كما يراه هو؛ الأمر الذي مكنّه من إعطاء قراءة جديدة للعقائد اليهودية[١] وعلاقتها بالصهيونية.[٢]

وقد تبيّن أن مبادئ العقائد اليهودية ثمانية؛ السبعة الأولى تبلورت قبل المنفى، وهي مرحلة الدين العبري. أما الثامنة فقد تبلورت بعد المنفى؛[٣] إذ اصطلح على تلك المرحلة بالدين اليهودي.[٤] ويظهر من تأمل هذه المبادئ أنها تقوم على أربعة عقائد، هي: عقيدة الألوهية، وعقيدة شعب الله المختار، وعقيدة أرض الميعاد، وأخيراً عقيدة المسيح المخلّص.

ففي عرضه لعقيدة الألوهية، وعبر تتّبعه نصوص العهد القديم كشف عن وجود تطوّر في مفهومها؛ فبعد أن عدّ العبريون الإله "يهوه" إلهاً قومياً، يشترك معه آلهة كثيرون تعبُدها الأمم التي جاورتهم في أوطان نشأتهم وهجرتهم، ليحافظوا على صورته بوصفه إلهاً لشعب إسرائيل، صار "يهوه" في مرحلة ما بعد

---

(١) المرجع السابق، ص٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧.

(٣) المرجع السابق، ص٧١.

(٤) الفاروقي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٢٨.

المنفى إلهاً للبشر قاطبة، لكن هذه العالمية كان المقصود منها إخضاع الشعوب الأخرى، واستعبادها، وهي بذلك عنصرية واضحة.[١]

وتتجلى عنصرية التوراة -كما بيّن- في إشاراتها المتكررة للإله الذي تصفه بصفات بشرية[٢] قادحة، رغم وجود نظرة حنيفية تصف الإله بأنه ربُّ العالمين، وبصفاته التي تليق بجلاله، وهي ما تتّفق مع نصوص القرآن، لكن عزرا رجّح النزعة العنصرية التجسيمية على هذه النزعة الحنيفية التوحيدية، ليصل في الأخير إلى نتيجة مفادها أنه "من السخف بمكان أن نقر ادعاء اليهود، والنصارى أن اليهود موحدون، وليس من عالِم في التوراة اليوم لا يقر ويعترف بأن في كلام التوراة عن الملأ الأعلى غشاوة، وأن نظرية الإله تطورت فيها بمراحل."[٣] ويؤكد حقيقة مفادها "أن التوراة كانت كتاباً منزلاً من الله إلا أن اليهود حرّفوها وزاغوا بها عن أهدافها الإلهية، ومراميها الأخلاقية العالمية، فجعلوا منها كتاباً تعصبياً عنصرياً، حتى اسم الإله بُدّل، فبعد أن يدعى باسم الحق وهو إله العالمين، وربّ البشر جعلته العنصرية إله إبراهيم، ويعقوب، وإسرائيل فقط. وإن كان له علاقة بالعالمين في نظر العنصرية، فلقهرهم لصالح شعبه المختار."[٤]

وبمقارنة الفاروقي بين ألوهية اليهود والتوحيد الصافي تبيّن أنهما لا يلتقيان، بل يتعارضان تعارضاً واضحاً؛ ففي ألوهيتهم تناقض طافح، ونزعة عنصرية بادية، وسمة حلولية ظاهرة، وأثارة وثنية بقيت حتى بعد تدوين العهد القديم.

اهتم الفاروقي أيضاً بنقد عقيدة شعب الله المختار، فراح يحلّل أصولها، وحينها ألفى لها أساساً متيناً من عقيدة "العهد الإبراهيمي"، فعدّه مربط الفرس، لأنّه الأساس الذي بنى عليه اليهود فكرة الاختيار، والتفضيل، رغم أن التوراة

---

(١) المرجع السابق، ص٩٩.

(٢) سفر التكوين، ٣٢: ٢٨.

(٣) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص٩٥.

لا تذكر أي سبب لهذا التفضيل،[١] لهذا عدّه ادعاءً يهودياً لا أخلاقياً، وعنصرياً، ومنافياً للعقل السليم.[٢] إلا أنَّ المتأمل لنصوص التوراة يجد ذلك الجانب المخفي[٣] الذي يناقض الرؤية العنصرية، ويتّفق مع ما جاء في القرآن الكريم،[٤] من أن التفضيل قائم على الأخلاق، متى وقعت المعصية سقط هذا الامتياز. ورغم وجود مثل هذه العبارات التوراتية الحنيفية التي تساوي بين جميع البشر في أخوة عالمية، إلا أن العنصرية كانت الغالب المسيطر على التوراة، وعلى وعي اليهود فعمّقت في نفوسهم مشاعر الشر، والبغضاء، ونفخت في صدورهم أوهام الاستعلاء، والتفوق على الأمم، وقوّت في عقولهم الاعتقاد بأن للشعب المختار أرضاً موعودة هي فلسطين.

وفي تحليله لعقيدة أرض الميعاد المقدسة، لم يلبث أن ميّز الفاروقي بين نظرتين متناقضتين في فهمها، وهما النظرة العنصرية التي فهِمت خروج إبراهيم وموسىعليهما السلام تنفيذاً للوعد الإلهي بأرض فلسطين، وتلبية لنداء "يهوه" في استعمارها. وهذا ما عدّه عملاً لا أخلاقياً، وسلوكاً عنصرياً،[٥] في حين أن الحنيفية التي كشف عن وجودها في الخروج الذي فهمه على أنه جاء طلباً للسلام، وهروباً بسلامة بني إسرائيل.[٦]

وبالمقارنة يتبدّى أن النزعة الحنيفية في التوراة مسالمة، تدعو إلى أخوة عالمية دون تمييز بين الأعراق، وتبقى حجّة على تحريف التوراة في مسألة الأرض الموعودة، وتُبين أن الرؤية الأخرى أقاصيص تعبّر عن أماني اليهود،

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) -المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) سفر التكوين، ٧: ١و سفر الخروج: ١٩: ٥-٦.

(٤) البقرة: ٨٣.

(٥) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٦) المرجع السابق، ص٣٦.

مستدلاً بنصوص من التوراة ذاتها على هذا التناقض.[١]

وقد تدرّج الفاروقي في فهم عقيدة الأرض المقدسة، وتطور مفهومها عند اليهود، ومبيّناً ظهور مفهوم جديد مع عصر المنفى وهو "مفهوم العودة"، وهذا الأخير جاء إذكاء للروح العنصرية.[٢] ورغم خيبات أمل اليهود العنصريين المتكررة، إلا أن الشعور بضرورة العودة إلى أرضهم المزعومة بقي يداعب مخيّلاتهم، ويعدّون أنفسهم في شتات أينما حلّوا.[٣]

ويظهر من قراءة الفاروقي، وتحليلاته لأفكار هذه العقيدة أنها صُيّرت عقيدةً روحية، وهاجساً نفسياً، ومشروعاً سياسياً، ورؤيةً عنصرية أوحت إليهم بأحقيتهم في هذه الأرض بدعوى أنهم شعب الله المختار، وتأولوا كلّ النصوص المقدسة خدمة لهذا الغرض، كما يتجلى ذلك في اليهودية الأرثوذكسية. وخلاف ذلك فإن النزعة الحنيفية لم تعبأ بفكرة الأرض، ولا بقداستها، ولذلك عاش الحنيفيون في الأوساط التي احتضنتهم، واندمجوا فيها. ومن أمثلتهم اليهودية الإصلاحية التي تنفي أي إشارات إلى العودة، وتشجع الإقامة، والتعايش في البلدان المستضيفة لهم.

تناول الفاروقي العقيدة الرابعة؛ وهي عقيدة المسيح المخلص، وأشار إلى ملابساتها الاجتماعية والنفسية، ومدى استحكامها على عقل اليهودي ونفسيّته، وقد أرجع سبب تبنّيهم لهذه النظرة الدينية الجديدة إلى الحوادث الجسام التي اختبروها مع السبي، وضياع مملكتهم، حينها تبلور حلمهم في مجيء مخلّص يعيد لهم أمجاد الماضي، ويعيدهم إلى أرض "يهودا"، وينتقم من أعدائهم،[٤] متمثّلين ذلك في أشعيا الذي رأى الخلاص تنقيةً للشعب اليهودي، وفرجاً لن

---

(١) انظر: سفر الخروج: ١٩: ٥. وسفر العدد: ٣٤: ١-١٢.

(٢) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٣) المسيري، **الموسوعة**، مرجع سابق، ص١٠١.

(٤) الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٠٣.

يأتي إلا على يد بطل كما جاء في العهد القديم.[١]

وقد بيّن الفاروقي أنه رغم وجود النزعة الحنيفية التي تفهمت هذه الفكرة تفهماً حنيفاً،[٢] إلا أن التفهم العنصري طغى ورجّح، وصار حلماً يهودياً عبر العصور.[٣] وإذا كان الدين اليهودي -كما يرى- الفاروقي قد نشأ في المنفى، فإن الصهيونية ما هي إلا إحياءٌ وبعث لهذه المفاهيم، وما أُثِر عنه من عنصرية، "فهي لم تأت بشيء جديد في عالم الأيديولوجية التي ورثتها عن سلفها عبر مختلف العصور."[٤]

٣- منهجه في نقد الملل اليهودية المعاصرة

تناول الفاروقي الملل اليهودية المعاصرة، مبرزاً أسباب نشأتها، والتي أرجعها أساساً إلى حركتي التحرير والتنوير اللتين عرفتهما أوروبا،[٥] وبيّن مدى تأثيرها على اليهود من خلال طرحه سؤالاً عن كيفية احتفاظ اليهودي بمكاسب التحرر دون المساس بخصوصية الأمة اليهودية، والدين اليهودي؟ ولم يلبث اليهود أن تعدّدت مواقفهم مما اصطلح عليه (المشكلة اليهودية)،[٦] فجاءت الملل اليهودية الثلاث: الملّة الإصلاحية، والملّة الأورثوذكسية، والملّة المحافظة للإجابة عن هذا السؤال. وما لبثت أن جاءت الصهيونية، لتجيب هي الأخرى بطريقتها الخاصة عن مشروع المجتمع اليهودي، ليبادرنا الفاروقي في الأخير بحلّه من وجهة نظر إسلامية.

---

(١) سفر إشعيا: ٩: ٦-٧، و٤٤: ٢٦-٢٨.

(٢) سفر أرميا: ٤: ٣-٤، و١:٣١-٣.

(٣) ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، مرجع سابق، ص١١٢- ١٢٨.

(٤) الفاروقي، **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٥) الفاروقي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٦) المرجع السابق، ص١٢١.

بدأ الفاروقي في تحليله ونقده بالملّة الإصلاحية،[١] فالأرثوذكسية،[٢] وأخيراً الملة المحافظة.[٣] وما نلحظه على منهجه التزامه بالموضوعية، من خلال اعتماده إجراء "التوقف" الذي تجلّى في عرضه لهذه الملل كما يعرفها أكابر مفكريها، وأهم أعلامها الذين يعدّون حجة في قومهم من غير تزيُّد. كما تناول التتبع التاريخي لنشأتها وتطورها، إلى أن استقلت بنفسها عن بقية اليهود، وغدت مللاً لها فكر، وأتباع، وعقيدة، وهياكل مؤسساتية. وقد ركز الفاروقي على مواقف كل ملّة من التغيرات، والتطورات التي شهدها العالم المحيط بهم.

وما يمكن أن نستنتجه من تحليلاته أنّ من اليهود في العصر الحديث من يمكن أن نطلق عليهم "حنيفيين" نظراً لمواقفهم الرافضة للعقائد اليهودية المحرّفة التي تمنح للمفاهيم العنصرية سيطرة على العقل اليهودي، خاصة ما يتعلق بالمختارية، والأرض المقدسة، والعودة. وقد عدّهم الفاروقي قوماً يمكن التعايش معهم في سلام دون تصادم، ومنهم من عدّ تلك المفاهيم العنصرية ديدنهم، وركيزة فكرهم، ليؤكد آخر الأمر وجود اتجاهين في هذه الملل؛ اتجاه حنيفي، وآخر عنصري.

بعدها اهتم الفاروقي بدراسة الصهيونية، ناظراً إليها على أنها محاولة معاصرة، لإيجاد حلّ لمشكلة اليهود كما تطورت في التاريخ الأوروبي، باحثاً جذورها التاريخية، وربطها بالدين اليهودي العنصري. وقد ظهرت الصهيونية كما يرى نتيجة تحولات خاضها المجتمع الأوروبي، أهمها فشل حركتي التحرير والتنوير من جهة، وما تبع ذلك من اضطهاد لليهود،[٤] فاختيرت من بين بدائل عديدة:

---

(١) المرجع السابق، ص٤٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق، ص٨٢ وما بعدها.

(٤) الفاروقي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص١٠٧.

– الحل الإصلاحي والأورثوذكسي الذي تمثّل في التخلي عن فكرة القومية الدينية، رغم تجذّرها في الخطاب الديني،[١] والتمتع بمكاسب العصر، والتحرر، والاندماج.[٢]

– الحل الصهيوني، وهو أن يكون لليهود مجتمعهم، وحقوقهم، وواجباتهم ضمن دولة يهودية مستقلة، يتمتّعون فيها بالدين، والقومية، والحرية، والاستقلال.[٣] وبهذا حقّق الصهاينة مُرادهم في إنشاء دولتهم، وتهجير اليهود إليها، واستيطانهم فيها، ورغم معارضة الأغلبية الساحقة ليهود العالم لمبادئها.[٤] وهذا ما أكّدته "موسوعة الصهيونية وإسرائيل،"[٥] إلا أنها لم تلبث أن صارت حركة شعبية تتمتع بتأييد كبير، وصار جلّ اليهود صهاينة، ومن مؤيدي إقامة الدولة الإسرائيلية.[٦] وبهذا سيطرت الصهيونية بوصفها عقيدة عنصرية على الوجدان اليهودي، وأخمدت بدهائها النزعة الحنيفية التي تمثلتها بعض الملل كالإصلاحيين. وكما فعل عزرا في ترجيح النزعة العنصرية، التي قامت هي الأخرى بالدور نفسه.

فما موقف الفاروقي من المشكلة اليهودية؟ وما هو حلّه لهذه المعضلة؟

يرى الفاروقي أن اليهود، وبعد تحقق حلمهم في الصهيونية أخذوا يراجعون أنفسهم عن مدى صلاحيتها بوصفها حلاً لمشكلتهم، عادّاً الجوابين الممكنين يثيران عدداً من التساؤلات "فإما أن يعدّوا المشكلة منتهية، وهذا يقضي على

(١) المرجع السابق، ص١٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٦.

(٤) السماك، محمد. **الاستغلال الديني في الصراع السياسي**، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٤٧.

(٥) المسيري، عبد الوهاب. **الأيديولوجية الصهيونية**، بيروت: عالم المعرفة، ودار النفائس، ١٩٩٧م، ج١، ص٣٦١.

(٦) الفاروقي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص١٢٠

اليهودية بوصفها ديناً قومياً؛ إذ تلزمهم الانصهار في الجسم الغربي القومي الأكبر الذي يحيط بكل مجتمع من مجتمعاتهم الغربية، أو أن يهاجروا لإسرائيل، ويتصهينوا، ولكن إسرائيل ليست مضمونة البقاء، والسعادة، فالمئة مليون عربي المحيطون بإسرائيل لن يتركوا فرصة للقضاء عليها،[١] وبهذا يظهر أن مشكلة اليهودلم تُحل."[٢] وهذا ما أكّده جوفري وايتكروفت في كتابه (جدلية الصهيونية) حين قال: "إن قيام الدولة اليهودية زاد المسألة اليهودية في العالم تعقيداً بدلاً من أن يجد حلاً لها."[٣]

وعليه، بعد عرض الفاروقي لوجهات نظر الفئات اليهودية لمشكلتهم، بادر بالحلّ بوصفه مسلماً مطبّقاً منهجه النقدي، ومؤكداً أن مطالب اليهود في عدم الانصهار، والاضطهاد، لا يمكن أن تتحقق إلا في أرض الإسلام، فهو يرى أن: "الإسلام هو النظام الأوحد الذي يحقق لليهود ما يبغون، أولاً الحرية، والبقاء في سلام؛ وثانياً، الكيان الجماعي الذي تتطلبه قوميتهم الدينية."[٤]

خاتمة:

كشفت هذه الدراسة عن عدد من الجوانب المغمورة من شخصية الفاروقي، ومنهجه في نقد اليهودية، وخلُصت إلى مجموعة من النتائج نذكرها هي:

أ- تبيّن أن إسماعيل راجي الفاروقي من الشخصيات الفكرية الإسلامية الموسوعية في العصر الحديث، الذي جمع بين الثقافتين الإسلامية والغربية، حتى لُقب برجل العالَمين، واستطاع أن يوفق بين إنتاج فكري عميق ونضال عملي طويل، ولم يقف عند حدود التأمل النظري ولا

(١) المرجع السابق، ص١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٢١.

(٣) السماك، **الاستغلال الديني في الصراع السياسي**، مرجع السابق، ص٣٥.

(٤) الفاروقي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، مرجع سابق، ص١٢١.

عند حدود الكلمة، بل كان مدافعاً عن فكره، وآرائه، عاملاً لوضع هذه الآراء موضع التطبيق. واشتهر الفاروقي بوصفه شخصية بارزة في إسلامية المعرفة، ولم يُعرف بوصفه عالماً متخصصاً في مقارنة الأديان، والفلسفة. وتلك قرينة الموسوعية، رغم اهتمامه الكبير بالدراسات الدينية المقارنة، وقد ساعده تضلعه في الإسلام، والفلسفة، ومخالطة أصحاب الأديان الأخرى على التميّز فيها؛ الأمر الذي مكّنه من صياغة رؤية علمية جديدة، بلغة إنجليزية راقية، وعقلية نقدية نافذة، تخاطب، وتجادل بالحسنى. فلا جرم أن عدّه علماء الغرب الباحث المسلم العقلاني المعاصر.

ب- امتاز الفاروقي في دراسة اليهودية بالاعتماد على مفاهيم أساسية، هي: الدين العبري، والتحريف، والحنيفية، والعنصرية. كما وظّف في تحليلها عدداً من المناهج المتداولة، منها: المنهج التاريخي، المنهج الفينومينولوجي، والمنهج المقارن. وابتكر الفاروقي منهج "ما وراء الدين"، ليتجاوز قصور علم مقارنة الأديان، ولينهض بوظائف عدّة؛ يُعنى بنقد الأديان وفق رؤية عقلانية بعيدة عن اللغة الدينية العقدية عندما تغاير معتقد المخاطَب وهو "الآخر الديني"، ولكنّها في الآن ذاته لا تتعارض والتصور القرآني؛ فجمع بذلك بين رؤية إسلامية أصيلة، ولغة فلسفية عالية، لتصير رؤية نقدية كاملة تتكوّن من ثلاث مراحل: مرحلة التوقف، ومرحلة الفهم، ومرحلة النقد (ما وراء الدين). وهذا ما يدفعنا إلى أن نعدّ ما وراء الدين منهجاً إسلامي الرؤية، علمي النزعة، فلسفي الخطاب.

ت- أرسى الفاروقي مجموعة من المبادئ في الفهم الديني، وهي في مجموعها تعد منهجاً قائماً لتجاوز الظواهرية الدينية، بتأسيسه موجهات الفهم الموضوعي التي يحتكم إليها عالم مقارنة الأديان. كما أرسى

مبادئ لمفهوم "ما وراء الدين" في صورة مبادئ وجودية، تقوم على مقدمات أولية ضرورية. وانطلق في نقده لليهودية من مبدأ وحدة الدين؛ لأنه أصل أديان الأرض، حملها الأنبياء إلى بني البشر، وتقوم على الفطرة الإنسانية، وما مرّد التعدد، والاختلاف إلا نتيجة الخروج عن هذه الفطرة، وتحريف مسّ نصوص الوحي، فألغى صفة التنزيل عنها.

ث- انطلق الفاروقي في دراسته لنصوص الكتاب المقدس من بحث الاتساق وعدم التناقض، فتبيّن وجود نظرتين متناقضتين تتجاذبان نصوص كتاب اليهود المقدس، وهما الرؤية العنصرية التي تعطينا ملخصاً عن أخلاق اليهود في تعاملهم مع الآخر، وفي حديثهم عن الله، والنظرة الحنيفية السمحة بوصفها طريقة تفكير مناقضة للأولى، وهو ما عدّه الفاروقي دليل تحريف. واعتمد الفاروقي أسلوبين في إثبات التحريف، هما: دراسة الاتساق في نصوص التوراة، وأسلوب التتبع التاريخي، لكشف التطور الدلالي للمفاهيم العنصرية من القول بالاختيار، إلى أسطورية الأرض المقدسة، وغيرها من العقائد اليهودية المحرّفة، ليكشف عن علاقتها بالصهيونية، ويؤكد في الأخير أن الصهيونية ما هي إلا إحياء لتلك المفاهيم العنصرية، وإلباسها ثوباً يتفق وتطورات العصر الحديث.

ج- درس الفاروقي المبادئ العقدية اليهودية، وتبيّن أنها تقوم على أربع عقائد: عقيدة الألوهية، وعقيدة شعب الله المختار، وعقيدة الأرض المقدسة، وعقيدة المسيح المخلص. ولم يلبث أن بيّن أن مقرراتها تعكس الصراع التاريخي بين الحنيفية والعنصرية، وانتهى آخر المطاف بانتصار العنصرية. كما درس الفاروقي مختلف الملل اليهودية المعاصرة معتمداً المنهج نفسه الذي خطّه؛ فعرّف بأعلامها، وأوضح ظروف نشأتها بوصفها استجابة لأزمة اليهود في الغرب المسيحي، وما فيه من تحرير وتنوير، فظهر اتجاهان مثّلتهم هذه الملل؛ اتجاه

يقبل الاندماج، وله قابلية التعايش مع الآخر، واتجاه عنصري يؤمن بالمفاهيم اليهودية العنصرية، حتى جاءت الصهيونية وسيطرت على اليهود بمختلف توجهاتهم، وغلّبت السمة العنصرية خاصة ما يتعلق بالأرض، والعودة، وإقامة الدولة. ليختم دراسته بإصدار حكمه بوصفه باحثاً مسلماً، مبيّناً فشل كل الحلول المقترحة لحلّ أزمة اليهود، ومبشراً بأن الحلَّ يكمن في الإسلام وديارة؛ إذ يمنح لليهود إمكانية العيش الكريم كسائر الأقليات الدينية، يمارسون دينهم، ويحتكمون لشريعتهم.

وعليه، فكل ما سبق يؤكد أن الشهيد إسماعيل راجي الفاروقي شخصية فكرية مميزة، لا ينازعه أحد في تجديد علم مقارنة الأديان؛ إذ أرسى رؤية إسلامية في مقارنة الأديان، يمكن من خلالها الجمع بين الانتماء الإسلامي والموضوعية العلمية، والعقلانية النقدية التي تمكّنه من التعامل مع الآخر، وقد وفق في ذلك باعتراف أكابر علماء الغرب.

إن هذه الدراسة كشفت عن أهمية الدراسة التحليلية المتعمقة لجهود المرحوم إسماعيل الفاروقي، للكشف عن صور التجديد التي انتهى إليها، والحاجة الماسة إلى دراسات مماثلة في موضوعات أخرى، تكشف عن إنجازاته التجديدية، في مجال دراسة الأديان، لا سيما دراسته للمسيحية كما ظهرت بصورة متميزة في كتاب الأخلاق المسيحية، وعمله المتميز في تحرير كتاب أطلس الأديان، وطريقته المبدعة في إخراج كتاب أطلس الحضارة الإسلامية. وهذه دعوة للعلماء والمفكرين والباحثين، لتناول هذه الموضوعات بالدراسة ليس من باب الوفاء للشهيد الفاروقي وحسب، وإنما لتسليح العقل المسلم المعاصر بأدوات معرفية منهجية تعمّق فهمه للظاهرة الدينية، وتسهم في تعزيز مكانة الفهم الديني السليم في الثقافة الإنسانية المعاصرة.